الصورة الذهنية للمخابرات العامة المصرية

صلاح كامل

الصورة الذهنية للمخابرات العامة المصرية

إعـداد
صـلاح الدين محمد كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

"هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين "

صدق الله العظيم

(سورة آل عمران - الآية ١٣٨)

الإهداء ..

إلى جميع أبطال حرب أكتوبر المجيدة ..

الذين حملوا الأمانة وأدوا الرسالة ..

وشحذوا الهمة وأناروا الظلمة ..

وكشفوا الغمة ونصر الله بهم الأمة ..

وحطموا الأسطورة ..

وغيروا الصورة ..

صلاح كامل

تقـــديم ..

أصبح التفاضل بين المنظمات والمؤسسات يقاس على أساس سمعتها ومكانتها أى صورتها الذهنية المرسومة فى أذهان الجماهير والرأى العام.

أن الغالبية العظمى تعرف أن العالم كما نراه ليس بالضرورة هو العالم الذى يوجد، وأن الكثير من إجاباتنا يتوقف على ما سمعناه وليس على ما قيل، وأن ربة البيت تشترى ما تحبه أكثر وليس بالضرورة ما هو أفضل ، كما أن شعور المرء بالدفء يتوقف عليه وليس على درجة الحرارة.

والصورة الذهنية Image (هى الأفكار والمعتقدات والمشاعر التى تتكون فى عقول ووجدان الجماهير تجاه أى قضية أو منظمة أو فكرة أو شخص وهى تتبادر إلى الأذهان عند ذكر إسمها لتعطى فكرة معينة أو مفهوماً عاماً عنها قد يكون طيباً أو سيئاً ، وتتكون مما يستقيه الفرد من وسائل الإعلام وما إكتسبه من معلومات ومعارف وخبرات حول هذه القضايا أو الأفكار أو المنظمات أو الأفراد ، وهذه الصورة لا يمكن أن تتشكل بين يوم وليلة اذ أن مادتها تترسب فى العقول قطرة قطرة ومن مجموع هذه القطرات على مر السنين يتم تكوين الصور الذهنية) (*)

(*) العلاقات العامة والصورة الذهنية لأجهزة المخابرات - رسالة ماجستير للمؤلف / كلية الاعلام - جامعة القاهرة ١٩٧٩ .

وتكمن أهمية الصورة الذهنية بالنسبة للفرد والمجتمع فى إن مواقف الفرد وآرائه وأنماط سلوكه تقوم أساساً على الصورة الذهنية التى يكونها عن الأشياء والحقائق التى تواجهه، بل إنها تتحكم أيضاً فى جهود الفرد ومشاعره وآماله وتفسر فلسفته تجاه الحياه وتساعده على التكيف معها ، ويستطيع الفرد أن يصل بهذه الصور إلى أبعاد لم يكن ليصل إليها بمشاهداته الواقعية ، فهو يرى ويسمع أشياء لايستطيع أن يصل إليها بعيناه وأذناه ، ولقد صنع الأنسان فى داخل ذهنه صورة لعالم لاتستطيع حواسه أن تصل إليه .

كما إن الصور الذهنية هى اللبنات الأولى التى يتكون منها الرأى العام وذلك للدور الهام الذى تقوم به فى التأثير على مواقف الأفراد وآرائهم وسلوكهم وبإعتبار أن الفرد هو الخلية الأولى فى أى جماعة داخل المجتمع الكبير.

وتعتبر أجهزة المخابرات والأمن القومى فى أى دولة فى العالم من أعقد منظمات الأزمات أو منظمات الضرورة. " Crisis Organization وهى المنظمات التى يقع عليها واجبات حماية أمن الوطن والدفاع عنه فى الداخل والخارج مثل الجيوش وأجهزة المخابرات والأمن الداخلى .

وهى منظمات يحوط نشاطها بوجه عام الكثير من مظاهر الغموض والسرية وعدم تقدير الكثير من المواطنين للدور الهام الذى تقوم به لخدمة أمن الوطن والمواطن...

وتواجه منظمات الأزمات عدة صعوبات تتميز بها عن باقى أنواع المنظمات فالعمل الشاق الذى تقوم به يستلزم تعايشاً وتعاوناً وتنافساً مفتوحاً من ناحية كما يستلزم من ناحية أخرى إتصالات وعلاقات جزئية منغلقة على بعضها البعض تحقيقاً لمبادىء الأمن والسرية " Need to Know " التى تستلزمها طبيعة عمل هذه المنظمات وحرصاً على الا يشيع ما بها من أسرار أو ما تقوم به من أعمال ، لأن أخطر ما يمكن أن يصيب أهداف هذه المنظمات هو أن تتعرض أعمالها وأسرارها للكشف .

كما تحتاج هذه المنظمات إلى قيام ثقة متبادلة بينها وبين أفراد الشعب وان تخلق تفهماً عاماً عن مهامها وواجباتها لدى الجماهير لشرح أهدافها وواجباتها والعمل على كسب ثقتها عن طريق الأمداد بالمعلومات الصحيحة والبيانات والحقائق عن طبيعة أعمالها ولخلق الصورة الذهنية الطيبة والمتميزة عنها فى أذهان الرأى العام وحتى تقبل الجماهير على التعاون معها لتحقيق أهدافها ولتعويض ما قد تفرضه طبيعة عمل هذه المنظمات من صمت ووقوفها أحياناً عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد بعض الحملات خوفاً من وقوعها فى بعض محظورات أمن المعلومات أو أفشاء أسرار بعض العمليات .

ويتوقف مستقبل أى أمة على دقة المعلومات التى تصل إليها أجهزة المخابرات ، والتى تنير الطريق أمام القرارات العليا للدولة فى سياساتها الوطنية، ولا سيما فى عالم مضطرب تتعارض فيه أغراض قوى عديدة وأيدولوجيات متباينة ، وهى فى محاولاتها للحصول على هذه المعلومات لا يمكنها أن تعمل دون وجود الشعور المتبادل مع الجماهير بالثقة والطمأنينة والأمان .

ولقد لوحظ أن أجهزة المخابرات بوجه عام تتعرض للكثير من حملات التشكيك والتشويه والهجوم الأمر الذى لابد وأن يؤثر فى النهاية على مدى كفاءتها فى تحقيق الأهداف الموكولة إليها وفى تحقيق التعاون الوثيق بينها وبين الجماهير والذى لا غنى عنه بالنسبه لهذه الأجهزة بإعتبار أن المحافظة على أسرار الدولة وجمع المعلومات اللازمة لسلامتها سواء فى الداخل أو فى الخارج هى عملية شاملة وأنها كل لا يتجزأ بل تحتاج إلى جهد كل مواطن وكل جماعة وكل هيئة.

ولقد تعرض جهاز المخابرات العامة فى أعقاب هزيمة يونيه ١٩٦٧ لحملات هجوم وتشهير إستمرت لفترة طويلة خلال سنوات عديدة ، وكان ذلك واضحاً فى العديد من القضايا والمحاكمات إبتداء بقضية إنحراف المخابرات وإنتهاءً بقضية مصطفى أمين بالإضافة إلى ما أثير حول بعض الأفلام من مناقشات وقضايا والربط بينها وبين جهاز المخابرات بإعتبارها تمثل فترة سابقة من تاريخ المخابرات .

وكان من الطبيعى أن تعكس هذه الحملات بعض الآثار السلبية على كفاءة العمل بالنسبة لجهاز المخابرات ومعنويات العاملين فيه .

وهذا هو نفس مضمون ما أشار إليه رئيس المخابرات العامة بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٨ فى حديثه إلى مجموعة من الكتاب والصحفيين (أعضاء المجلس الأعلى للصحافة) الذين وجهت إليهم الدعوة لزيارة جهاز المخابرات العامة فى ذلك اليوم فقد قال رئيس المخابرات العامة للصحفيين والكتاب إننا نحترم الجدل وحرية الرأى وننظر إليهما كعامل صحى فى مجتمع حرص السيد الرئيس محمد

أنور السادات رئيس الجمهورية فيه على تطبيق مبدأ سيادة القانون قولاً وسلوكاً وإلتزاماً من الجميع بتطبيقه ، واضعين فى إعتبارنا جميعاً بل وفى المقام الأول المصالح القومية لمصر، إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل فى نفس الوقت العائد السلبى وهو الأمر الذى أحرص على أن تشاركوننى فيه، فأولاً نحن بشر حساسون وأحياناً كلما ساءت صورة المخابرات العامة كهيئة معنوية دون ما نظر إلى الأشخاص أثر ذلك بالسالب على معنويات بعض العاملين فيه والعكس صحيح؛ وثانياً أقرلكم أن من شأن هذه الصورة أن تفقد الجماهير الثقة فينا ومن ثم فإنها قد تحجم عن المشاركة الإيجابية معنا فى الحفاظ على أداء رسالة أمن الوطن والمواطن.(*)

كما نشرت صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٩ كذلك تحت عنوان " الحملة على المخابرات تضر بالوطن" مقالاً جاء فيه :

" إن السيد رئيس المخابرات العامة قد أكد أن مهام المخابرات تتحدد من حيث هى إحدى جهات التقديرات السياسية والاستراتيجية فى مصر وأن العاملين فيها يمارسون دورهم بإسلوب الفريق لتحقيق المصالح القومية للدولة، وأشار إلى الهجوم المستمر الذى تتعرض له المخابرات العامة منذ يونيه ١٩٦٧، وذكر فى معرض الحديث عن الحملات أنه قد سبق حدوث ضجة حول بعض أجهزة المخابرات فى بعض الدول الغربية الممارسة للديمقراطية منذ مئات السنين إلا أن الجدل قد توقف بعد فترة عندهم بل وفى العالم كله لأن المصلحة القومية لهذه

(★) نشر هذا الحديث بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٩

الدول قد تغلبت وتوقف الجدل، ولأنه أصبح أمراً مستحيلاً فى العالم اليوم أن تعيش دولة دون جهاز للمخابرات خاصة بالنسبة للدول التى قد تكون مطمعاً بحكم موقعها وتأثيرها كمصر."

ومن خلال التفاوت الكبير بين الأهمية الهائلة لهذه المنظمات وحاجة الدولة إليها وبين ما تعكسه صورتها الذهنية فى وجدان الجماهير والرأى العام ظهرت أهمية دراسة هذه المشكلة، على الرغم مما يكتنفها من حساسية قد تجعل الباحثين يحجمون عن التعرض لها بالدراسة والبحث، ولكن مثل هذه الدراسات كان لا بد لها فى النهاية أن تخضع لأساليب البحث العلمى لاستخلاص الحقائق الموضوعية والنتائج العلمية حيالها، كمعرفة أبعاد هذه الصورة ومكوناتها والمتغيرات المؤثرة فيها واقتراح أنسب الحلول حيالها لتحقيق التوازن المطلوب بين أهميتها وضرورتها من ناحية وبين صورتها من ناحية أخرى، وهى نتائج تحتاج إليها هذه المنظمات بالدرجة الأولى لوضع الخطط والسياسات وتقييم المواقف فيما يتعلق بمجالات الاتصال بالجماهير والاعلام وتحقيق الثقة المطلوبة معها والتى هى قمة الاهتمام فى هذا المجال.

ولذلك فإن هذا الكتاب يتصدى لدراسة الصورة الذهنية لأجهزة المخابرات بصفة عامة وجهاز المخابرات العامة فى مصر بصفة خاصة بهدف معرفة العوامل المؤثرة فى تكوينها وأبعادها والمراحل التى مرت بها وخصائص كل مرحلة منها ومدى تناول الصحافة المصرية لها خلال الفترة من يونيه ١٩٦٧ وحتى ديسمبر ١٩٧٧.

وهى فترة زمنية هامة فى تاريخ المخابرات المصرية تركز فيها كل الهجوم والنقد الذى وجه اليها وذلك فى محاولة للوصول إلى بعض الحقائق الخاصة بالموضوع .

وبعد مرور ثلاثون عاماً على هزيمة يونية ١٩٦٧ ، فقد آن الأوان أن يخرج هذا الكتاب إلى النور وان يكشف عنه الغطاء حتى يتعرف المواطن المصرى والعربى على الحقائق والأوهام التى سادت الرأى العام تجاه المخابرات المصرية فى هذه الفترة وما بعدها وكيف تعرضت لحملات تشويه ضارية ومتعمدة أحياناً من بعض الكتاب فى محاولة لتصفية حسابات قديمة، فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه بأداء واجباتها على أتم وأكمل ما يكون الأداء ، ويبذل العاملون فيها كل جهد واخلاص وولاء للمبادىء السامية التى عملوا من أجل تحقيقها لحماية وطنهم ومواطنيهم .

والله الموفق . .

صلاح كامل

التعريف بالمخابرات

تقديـــــم

منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض وهو فى صراع مرير من أجل الحياة، وبنعمة العقل التى من الله عليه بها إستطاع خلال صراعه مع الحياه أن يسخر الطبيعة لخدمته، كما إستطاع أن يسيطر على المخلوقات الأخرى وأن يتطور عبر عصور التاريخ لينتقل من مجتمع الصيد والقنص إلى مجتمع الدولة العلمية العصرية التى ملكت من أسباب العلم والمعرفة ما مكنها من أن تصل بالإنسان إلى سطح القمر ويعود بأجزاء منه إلى الأرض.

وعلى طول تاريخ الإنسان تميز صراعه- من أجل الحياة- سواء مع الطبيعة أو مع أخيه الإنسان بظاهرتين أساسيتين، إحدهما الزود عن نفسه وما يملك، والثانية محاولاته لتحقيق مستوى أفضل من التقدم والرفاهية، وارتبط هذا الصراع المتميز بحياة الإنسان على طول تاريخه وحتى يومنا هذا.

ففى تصورنا لأسلوب حياة الإنسان منذ بداية الحضارة الإنسانية فى مجتمع الصيد والقنص حيث كان على الإنسان أن يقتنص الحيوان ليأكله، وكان عليه أن يعمل لتأمين نفسه من أن يفترسه الحيوان ومن أجل صيد الحيوان، كان على الإنسان البدائى أن يعرف الكثير عن هذا الحيوان، كان عليه أن يعرف المكان الذى

يحتمل تواجده فيه، وأنسب الأوقات للانقضاض عليه والطريقة التى يبدأ بها هجومه عليه وأى الأسلحة يستخدمها (الحجارة أم الهراوة) ضده وأضعف أعضاء الحيوان التى يوجه لها ضربته.

وليأمن الإنسان على نفسه من أن يفترسه الحيوان أثناء نومه أو يقظته، كان عليه أن يقوم بإختيار الكهف الذى يتمكن من إحكام غلقه بواسطة قطعة مناسبة من الأحجار، وأن يختار الأماكن التى يتواجد فيها أثناء ممارسته لحياته اليومية، دون أن يكون عرضه لأن يفترسه أحد الحيوانات التى يعيش بينها، وأن يكون على استعداد دائم للفكاك من غدرها.

وكان الإنسان فى ممارسته لحياته اليومية تحت هذه الظروف يعتمد أساساً على فطنته وذكائه مستخدماً ما يتيسر له من وسائل، مدفوعاً فى كل ذلك بالغرائز البشرية التى لازمته منذ ولادته.

" ومن وجهة نظر المخابرات نجد أن الإنسان البدائى كان يمارس نشاط المخابرات فى صورة مبسطه جداً، الاّ أنها فى الحقيقة تمثل جوهر المخابرات بأبعادها المختلفة الإيجابية والدفاعية، وهكذا كانت أعمال المخابرات سلوكاً بشرياً تواجد مع الإنسان منذ بدء الخليقه مارسه فى سبيل تحقيق إحتياجاته، وفى سبيل تحقيق حماية نفسه". (*)

(*) أحمد هانى ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج (١٩٧٤) ص ٣٢.

نشـــأة المخابـــرات

يصعب على أى باحث أن يتعقب تاريخ المخابرات بالمفهوم المعروف لتناول أى ظاهرة تاريخية لها صفة الترابط والتسلسل من بداية وإستمرار ثم توقف عند حدود معينة وفى وقت معين ، إلا أنه من الممكن أن نضع أيدينا على أحداث متناثرة على مر العصور فى مناطق متفرقة من العالم القديم والحديث تؤكد ممارسة الإنسان لنشاط المخابرات فى صورها المختلفة ، وحتى فى الأساطير سوف نجد أنه كان للمخابرات مكان لها.

ومع تطور الإنسان حضارياً وإجتماعياً تطورت حاجته إلى المخابرات وتقدمت وسائله فى استخدامها فمنذ أن صارت القبيلة وحدة إجتماعية وقاتلت ضد القبيلة الأخرى كان للمخابرات دورها الحاسم فى تحقيق النصر أو الهزيمة وسواء كان القتال للدفاع أو الهجوم فلقد كان على قادة أى تكتل اجتماعى أن يعرفوا كل ما يمكن عن قوة وضعف التكتل الآخر .

ويقول آلان دالاس الرئيس السابق للمخابرات المركزية الأمريكية (*) " أن تاريخ نشاط المخابرات قديم قدم المنافسة بين المجتمعات والأمم وما دامت قد تواجدت حاجة ملحة لحماية المصالح الحاسمة الأهمية لحاكم أو لدولة أو حكومة ، كانت هناك حاجة ملحة للمخابرات ، وهكذا كان من الممكن أن نجد فى أقدم التسجيلات لحوادث التاريخ أقدم صور الاستخدام للمخابرات " .

---

* نشرته دائرة المعارف البريطانية فى كتابها السنوى عام ١٩٦٣ .

(*) Allen W. Dulles, The Graft of Intelligence.

"وعندما أرسل سيدنا نوح عليه السلام "الحمامة" لكى ترى ما اذا كانت المياه قد أنقشعت من على وجه الأرض بعد الطوفان ، فإنه أنما قام بنوع حديث فى نشاط المخابرات فى الأستكشاف الجوى" (*)

وتؤكد الأحداث التى جاءت فى "الالياذه والأوديسة" عن حصان طروادة إن المخابرات قديمة منذ الوجود البشرى وهى توضح مدى الدور الذى لعبته فى تحقيق مالم يستطيع تحقيقه جيش كبير إستمر فى حصاره لمدينة طروادة عشر سنوات ولم يستطع دخولها الا بعد أن نجح (سينون) فى إقناع ملك طروادة وشعبها بإدخال الحصان الذى إختفى فيه جند الإغريق .

وتعتبر المخابرات المصرية من أقدم أجهزة المخابرات فى العالم، وفى جميع مدارس المخابرات العالمية فإن أول ما يتعلمه طلبة المخابرات فى بداية تدريبهم هو أن أقدم وثيقة مخابرات عرفت حتى الأن هى الوثيقة التى قدمتها " المخابرات الفرعونية" للفرعون منفتاح "١٤ قرناً قبل الميلاد" وفيها تحدد له طرق الأقتراب من مدينة " يما " والتى كانت تقع جنوب مدينة " مجدو " بستة عشر كيلو متراً ، وتنصح فيها المخابرات فرعون بأن يسلك الطريق الأوسط للوصول إليها .

(*) Ladislas Farago, War of Wits: Anatomy of Espionage and Intelligence

وعن المخابرات فى مصر القديمة يقول " رونالد سيت " (*) أن المصريين القدماء كانت لهم مخابرات منظمة قبل عصر السيد المسيح بعدة قرون ، وأن سجلاتهم قد إحتوت على ما يفيد قيامهم بأعمال عظيمة فى مجال المخابرات وقبل حادث حصان طروادة بعدة قرون – تلك القصة التى كتبت قبل الميلاد – فخلال حكم الأسرة الثانية عشر حوالى سنة ٣٦٠٠ إلى ٣٤٠٠ ق. م نجح رجل إسمه "توت" فى تدبير خدعة مماثلة لخدعة حصان طروادة ، فقد أعد "توت " مائتى رجل داخل أكياس الدقيق ووضعها على ظهر سفينة تتجه إلى مدينة كانت تحاصرها الجيوش المصرية فى ذلك الوقت ، وتمكن هؤلاء الرجال من دخول المدينة – كما فعل المقاتلون الإغريق الذين كانوا يختفون داخل الحصان الخشبى – ثم قاموا بتسليمها إلى الجيش المصرى المرابط حولها ، ولم يكن من المستطاع لهذا الجيش أن يدخل المدينة لولا جهود الرجال الذين تمكنوا من دخولها وهم مختفين داخل أكياس الدقيق .

وفى العهد القديم Old Thstement تقول قصة موسى عليه السلام "إن الرب قال لموسى أبعث برجالك يفحصون أرض كنعان وأبعث من كل قبيلة رجلاً يكون حاكماً فى موقعة ، وبعث موسى بأثنى عشر رجلاً ليتجسسوا على أرض كنعان وقال لهم : اسلكوا هذا الطريق للجنوب وأقصدوا الجبال وأرقبوا الأرض .

"وعن المخابرات فى صدر الإسلام فلقد ثبت أن النبى عليه الصلاة والسلام أرسل فى غزوة بدر أثنين من الصحابة للحصول على معلومات عن قوات

(*) Ronland Sith, Spies at Work

المشركين ، وعند بئر بدر وجد إحداهما غلامين لقريش يستقيان فأحضراهما إلى الرسول عليه الصلاة والسلام حيث تمكن من تحديد عدد المشركين بسؤاله للغلامين عن عدد الجمال التى ينحرونها فأجاب الغلامين بأنهم ينحرون يوماً تسع ويوماً عشر فأدرك عليه الصلاة والسلام أن عدد القوم بين التسعمائة والألف لأن العرب كانوا على عادتهم يخصصون بعيراً لكل مائة فرد " .

كما تمكن أحد الصحابة من تحديد موعد وصول قوات قريش إلى منطقة القتال عندما سمع حديثاً بين جاريتين تؤكد إحداهما للأخرى بأنها سوف تدفع لها دينها عندما يأتى القوم غداً أو بعد غد. (*)

وإذا كان تاريخ المخابرات يعتبر قديماً إلا أن بداياته الحقيقية قد ظهرت مع بداية هذا القرن ثم تأكدت تماماً وظهرت مدى الحاجه إليها منذ الحرب العالمية الثانية وعلى إمتداد الحرب الباردة بين الكتلتين الكبيرتين فى العالم ، واتسع إستخدامها للوسائل الفنية فى الحصول على المعلومات وكان لها الفضل الأول فى نجاح أكثر الحوادث أثراً فى التاريخ المعاصر وأصبح نشاط أجهزة المخابرات الآن أمراً واقعاً فى الحياة الدولية وفى نفس الوقت أصبحت المخابرات إحدى الضمانات الأساسية للإستقلال القومى للدولة.

(*) أحمد هانى ، مرجع سابق ص ٣٨.

التعريف بالمخابرات

يطلق على أجهزة المخابرات فى العالم لفظ "Intelligence " وهى تعنى فى اللغة الإنجليزية "عقل، ذكاء، تفكير بارع، فهم أو إدراك، نبأ أو معلومة، إتصال أو تبادل معلومات، إستخبارات أى معلومات متعلقة بعدو أو عدو محتمل أو منطقة ما ".

ولا شك أن نشاط أجهزة المخابرات بصفة عامة يتضمن جميع هذه المعانى الواردة فى الترجمة العربية لهذه الكلمة.

ونعرض فيما يلى لبعض التعريفات الخاصة بماهية المخابرات وطبيعة أعمالها ومدى شمولها للمفهوم المتكامل لطبيعة العمل الخاص بالمعلومات.

ويلاحظ فى البداية أن التعريفات والتفسيرات التى تبادلت كلمة المخابرات قد إختلفت فيما بينها، فقد وردت بعض هذه التعريفات محددة والأخرى مطولة أو مشتملة على بعض كلمات أخرى تحتاج إلى تفسير أو تحديد، كما أن بعض هذه التفسيرات يصفها بأنها " تعنى عمليات المخابرات نفسها " والبعض " بأنها نتائج وثمار هذه العملية أى حصيلة المعلومات التى تحصل عليها المخابرات.

ويذهب " شيرمان كنت " إلى القول بأن المخابرات " هى المعرفة والعلم بالمعلومات التى يجب أن تتوافر لدى كبار المسئولين من المدنيين والعسكريين حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومى " . (*)

(*) Cherman Kent,The Strategic Intelligence for American World Policy, (1953)

" وأحياناً يكون جمع المعلومات عادياً وطبيعياً للغاية، لدرجة أنه يصبح من الصعب إدراك أن شأنه شأن عمل المخابرات، وتارة أخرى فإن هذا العمل يأخذ شكلاً يسير على قواعد معينه وعلى نهج علمى منظم ويحتاج إلى جهد كبير، ولكن بغض النظر عن الطريقة التى يتم بها ذلك العمل سواء تم بطريقة طبيعية بدون تفكير أو تدريب أو تم بطريقة واعية وحاذقة، فإن المجهود الذهنى لعمل المخابرات فى حقيقة جوهره ليس أكثر من البحث عن أفضل إجابه واحدة لكل قضية تهتم بها الدولة، وإستخدام كافة المعلومات المتاحة فى كافة المصادر لإستيفاء المعلومات وتحليلها والخروج بإستنتاجات وتقديرات أساسية منها. (*)

(*) من الأمثلة البارزة التى تدل على أهمية جمع المعلومات وتحليلها ما ذكره لاديسلاس فاراجو فى كتابه " حرب الدهاء " War of Wits " عن صحفى ألمانى يدعى " برثولد جاكوب " أصبحت حادثة جمعه للمعلومات قصة دولية فى العالم أجمع، وكان جاكوب قد نشر كتاباً فى ١٧٢ صفحة شرح فيه جميع تنظيمات الجيش الألمانى وتضمن تكوين القيادة، وأفراد هيئة أركان الحرب العامة، ومجموعات قيادات الجيش، ومختلف الأقسام العسكرية، وحتى فصائل البنادق الملحقة بأحدث فرق البانزر، وأورد فيه أسماء ١٦٨ قائداً بالجيش وذكر تواريخ حياتهم.

وعندما عرض الكتاب على هتلر، ثار واستدعى رئيس المخابرات " الكولونيل والتر نيكولاى "وسأله " كيف استطاع رجل واحد أن يجد مثل هذه المعلومات عن الجيش الألمانى؟ "وقرر نيكولاى أن يجد الجواب على هذا السؤال من جاكوب نفسه.

وفى ١٠ مارس ١٩٣٥ قامت المخابرات الألمانية بإختطاف برثولد جاكوب من سويسرا لإستجوابه، وكانت المخابرات الألمانية تعتقد أنها ستكتشف أكبر شبكة للتجسس داخل الجيش الألمانى، ولكنها إكتشفت أنها مجموعة من المعلومات ألتقطها صحفى ذكى وكانت كل أدواته المستخدمة فى ذلك هى مقص وزجاجة صمغ وملف لبطاقات الفهرس ثم عقلية ضابط مخابرات . =

وقد قامت اللجنة التى شكلت فى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة وتقييم نشاط المخابرات الأمريكية وهى "لجنة تنظيم الأدارة التنفيذية للحكومة" برئاسة هيربرت هوفر والتى عرفت فيما بعد بإسم "لجنة هوفر" قامت بوضع تعريف "المخابرات" تضمنه تقريرها إلى الكونجرس الأمريكى فى يونيو عام ١٩٥٥ ، وكان نص هذا التعريف : (*)

"المخابرات هى وسيلتنا للحصول على كل المعلومات التى يجب أن نعرفها قبل البدء فى العمل ، وأن المخابرات تعالج كل الموضوعات التى يجب أن تكون معروفة مقدماً لتنظيم خطة العمل" .

= وقال جاكوب فى إستجوابه "أن كل شيء فى كتابى قد أخذته من الأنباء التى كانت تنشرها الصحافة الألمانية، فعندما أوضحت أن الماجور جنرال هاوس كان قائداً للفرقة ١١٧ المعسكرة فى نورمبرج، حصلت على هذه المعلومة من إعلان نعى فى إحدى صحف نورمبرج، وقد جاء فى نبأ الوفاة أن الجنرال هاوس الذى كان قد وصل تواً من نورمبرج قائداً للفرقة ١١٧ قد حضر الجنازة، واستطرد جاكوب وفى إحدى صحف "أولم " وجدت خبراً فى صفحة الإجتماعيات عن حادث سعيد وهو زفاف أبنة الكولونيل "فيرو" إلى الماجور ستمرمان" ، وقد جاء فى النبأ أن "فيرو" هو قائد الالاى ٣٦ التابع للفرقة ٢٥، وقيل أن الماجور ستمرمان هو ضابط إشارة الفرقة، وذكر النبأ أيضاً أن الماجور جنرال شالاز قيل عنه أنه قائد الفرقة قدم من شتوتجارت، حيث توجد رئاسة فرقته حضر حفل الزفاف أيضاً.

ولحسن حظ جاكوب أن الكولونيل نيكولاى "رئيس المخابرات الالمانية فى ذلك الوقت" قد قدر هذا العمل الذى يدل على حدة الذكاء وكان ذلك سبباً فى معاملته معاملة إنسانية واعادته إلى سويسرا ، وابلغ نيكولاى هذه النتائج إلى هتلر قائلا " إن جاكوب لا ذنب له وأن الخطأ هو خطأ الصحف اليومية والصحف العسكرية، فقد وضع هذا التوزيع للقوات من شذرات من المعلومات جمعها من إعلانات الموتى أو حفلات الزواج وأخبار المجتمع وما أشبه ذلك ، وأنه يتمتع بأبرع عقلية مخابرات مرت به طوال حياته.

(*) Commission on Organization of the Executive Branch of the Govern-ment - Intelligence Activties, A Report to the Congress, June 1955 .

ويعلق "هارى هاورانسوم" على هذا التعريف فيقول : "لا شك أن هذا التعريف هو عرض عام للمخابرات ، يصف موقفا مثالياً يتوقع القليلون ممن يضعون القرارات أن يجدوه ، أن وضع القرار أو تكوين الرأى هو العمل الذى يجب أن يقوم به أحد المسئولين عندما تتوافر له معلومات غير كاملة ، مما يفيد بأن المخابرات الجيدة هى التى تقلل من صعوبة إتخاذ القرارات الصحيحة". (*)

ويضع قاموس المصطلحات العسكرية الأمريكية تعريفاً للمخابرات على النحو التالى :

"يتركز عمل المخابرات فى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الدول الأجنبية أو مناطق العمليات ، وتقيمها وتحليلها وتفسيرها بهدف إستخدامها بطريقة مباشرة فى التخطيط الأستراتيجى. (١)

ويذهب "لاديسلاس فاراجو" إلى تعريف المخابرات فيقول "المخابرات هى القدرة على فهم وتقدير الآراء ، وهى من الناحية العلمية عبارة عن المجهود المنظم لجمع المعلومات وتقديرها بطريقة تفصيلية وتجميعها معا لتكون صورة أكبر وأكثر وضوحاً للأشياء المتوقعة ، كما أنها مجهود متواصل لإختراق الضباب المخيم على الحرب والدبلوماسية لرسم خطط المستقبل (٢).

(*) Harry How Ransom, Intelligence and National Security.

(1) Dictionary U. S. Military Terms for Joine Usage.

(2) Ladislas Farago, op. Cit.,

ويضع "واشنجتن بلات" تعريفاً للمخابرات فيقول "المخابرات هى بيانات محددة ذات معنى تؤخذ من معلومات تم إختيارها وتقنينها وتفسيرها وصياغتها بطريقة تجعل أهميتها واضحة تماما فيما يختص بمشاكل السياسة القومية (*)

وهذا يعنى إن إنتاج المخابرات هو إستخراج أصلح وأفيد المعانى من خلال مجموعة الحقائق المتاحة لرجل المخابرات ، ومن ألزم الصلاحيات التى يتحتم توافرها - فى هذه الحالة - الفهم العميق والقدرة على التصرف وإصدار الحكم السليم ثم صفاء الرؤية بحيث تتم من أكثر من زاوية واحدة لنفس الموضوع .

والملاحظ أن كل التعريفات السابقة قد عنيت بتفسير كلمة المخابرات بإعتبارها المعلومات فى مراحل متعددة وهى مرحلة جمعها ثم تحليلها وتفسيرها ووضعها فى الشكل الذى يجعلها ذات فائدة ثم مرحلة الإستفادة منها ، ولكن لم تعن هذه التعريفات بطبيعة المخابرات حتى يكون من السهل تفهم أبعاد هذا العمل والالمام بجوانبه المختلفة ، خاصة وأنه قد تعددت الكلمات التى تضاف إلى كلمة المخابرات تبعاً لتعدد ألوانها ، وذلك فى ضوء تعدد وسائل جمع المعلومات التى تهتم بها المخابرات ، بحيث أصبحت كلمة مخابرات مقرونة بكلمات أخرى مثل (المخابرات التكتيكية ، المخابرات الإستراتيجية ، المخابرات العلمية ، المخابرات الإقتصادية) الأمر الذى يضفى على كل منها طابعاً خاصاً يختلف من كلمة لأخرى .

(*) Washingtion Platt, The Stratigic Intelligence Production.

ومن هنا فإنه يصعب أن نجد تعريفاً محدداً يتضمن كل ما يمكن أن يفهمه الإنسان عند سماع كلمة "مخابرات" بحيث يستطيع بسهولة أن يلمس كل ما يمكن أن تعنيه هذه الكلمة من حيث مفهومها وطبيعتها وأبعادها وكل ما يتعلق بها.

كما لم يشر أى من هذه التعريفات إلى أن المخابرات فى طبيعتها وقاية وحماية .

أما التعريف الذى تورده (دائرة المعارف البريطانية) عن المخابرات فنجد أنه أكثر شمولاً ويتناول المخابرات من عدة جوانب، وتكمن تفصيلات هذا التعريف فيما يلى :

المخابرات .. هى جمع المعلومات سواء عن الخصم أو الحليف أو المحايد وتهتم أساساً بمسائل الحرب والدفاع وقت السلم بالإضافة إلى جمع المعلومات الدبلوماسية والإقتصادية والصناعية وتأمين تلك المعلومات .

المخابرات المضادة .. هى تأمين الأسرار الخاصة بالدول ذاتها، ومن الواضح فى هذا التعريف أن جمع المعلومات وتأمينها يرتبط كل منها بالآخر، وفى بعض الدول تختص منظمة واحدة بالمهمتين معاً .

وتعتمد فاعلية إجراءات المخابرات المضادة غالباً على مدى ما يمكن أن يتوفر من المعلومات الايجابية ، وعلى ذلك فأن جمع المعلومات يجب أن يقوم على أساس توافر قدر كاف من الأمن .

ولا يتطلب عمل المخابرات جمع المعلومات فحسب بل يتطلب أيضاً فرز وفحص وتقييم هذه المعلومات ومدى صحتها والوصول منها إلى نتائج محددة .

نشاط المخابرات : يختلف نشاط المخابرات باختلاف الموضوعات التى تعالجها - وهى متعددة - سواء على المستوى التكتيكى أو الاستراتيجى .

والمخابرات التكتيكية Tactical هى معلومات ذات طابع محلى، أو طابع متخصص ، أو المعلومات التى يمكن أن تستخدم لدعم وتيسير حل مشكلة مخابرات معينة . وتتعلق أساساً بوقائع ومعلومات من نوع أقل وعن مظهر محدود من عملية المخابرات الشاملة .

وهى فى زمن الحرب تسمى بمخابرات المعركة ، وتشمل كل المعلومات الخاصة بالعدو وبالمعنى التكتيكى ، وهى بصفة عامة تتعلق بكل مظهر عسكرى للعدو أو العدو المحتمل ، وبأى نوع من المعلومات التى لها اثراً مباشراً على سير المعركة ، أما فى زمن السلم فتكون المعلومات التكتيكية لازمة بإستمرار للقيادة السياسية والدبلوماسية ، وهى فى زمن الحرب معلومات ضرورية لجميع القادة على مختلف درجات السلم العسكرى ، ولا شك أن القائد فى الميدان الرئيسى يحتاج إلى نفس المعلومات التى يجب أن تتوافر لمجلس الأمن القومى .

والمخابرات الإستراتيجية Strategic هى المعلومات الخاصة بنوايا وإمكانيات الدول الاجنبية وأوجه الضعف الموجود فيها ، وتكون هذه المعلومات

أساساً لوضع سياسة الأمن الخاصة بالدول فى السلم وأساساً للتخطيط العسكرى والعمليات فى زمن الحرب .

ويقول شيرمان كنت " لو كانت السياسة الخارجية هى درع الدولة ، فإن المخابرات الاستراتيجية هى الشىء الوحيد الذى يجىء بهذا الدرع إلى المكان الصحيح لها وفى الوقت المناسب لذلك ، ثم هى أيضا الشيء الذى يقف على أهبة الاستعداد لتوجيه السيف. (*)

وليس هناك حد فاصل دقيق بين المعلومات الاستراتيجية والتكتيكية ، فإن أحد البنود الذى يبدو ذا أهمية تكتيكية قد يتضح له أهمية استراتيجية كبيرة ، بل قد يكون له تأثيراً مباشراً على السياسة النهائية للدولة .

ويصعب فى الواقع حصر أنواع ومدى المعلومات التى تحتاجها المخابرات الاستراتيجية ، فالعناصر الإساسية لها تشتمل على معلومات جغرافية وسياسية وإقتصادية وفنية وعلمية وعسكرية وإجتماعية ونفسية وتاريخية ، الأمر الذى أدى إلى ظهور بعض التخصصات الدقيقة لأنشطة المخابرات داخل كل نوعية من المعلومات .

فالمخابرات العسكرية مثلاً والتى تبدو وكأنها شاملة لكافة المجالات العسكرية، أصبحت الآن تنقسم إلى مخابرات خاصة بالجيش وأخرى بالقوات الجوية وثالثة

(*) Cherman Kent, op . cit .

بالقوات البحرية ، وكل منها تنقسم إلى مجالات عديدة من التخصص .

والمخابرات الجغرافية Geographic Intelligence والتى تهتم بالمعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبحر من أجل الخطط العسكرية ، قد إنقسمت هى الأخرى إلى أقسام كبرى هامة ، فقسم خاص بالطبوغرافيا وآخر للأرصاد الجوية وثالث للهيدروجرافى ورابع للنقل وهكذا .

وبعد التقدم السريع الذى طرأ على الأسلحة والتسليح ، برزت المخابرات التكنولوجية Technological Intelligence ذات الأهمية الحيوية الخاصة بالأمن القومى ، ومنها نشأت المخابرات العلمية Scientific Intelligence التى يتفرع منها أقسام متخصصة فى التفجير الذرى والألكترونى والصواريخ الموجهة والمواصلات السلكية واللاسلكية والحرب البيولوجية والكيماوية .

ومجالات المخابرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية لها أهمية كبرى ، ويتفق العسكريون والساسة على أنه لابد وأن يتوفر للقائم بوضع السياسة كل المعلومات عن التكوين الحكومى والجماعات السياسية والأهداف والسياسات القومية والظروف الإجتماعية والصناعية الخاصة بالعدو .

ومهما تعددت ألوان نشاط المخابرات فإنها فى النهاية تستهدف هدفين

أساسين أولهما السعى للحصول على كافة المعلومات عن الدول الأخرى خاصة المعادية وتأمينها ، وثانيهما الوقاية من نشاط المخابرات الأجنبية ، أى أن المخابرات بشكل عام تمارس نوعين من النشاط أحدهما ايجابى وهو الحصول على المعلومات ويعرف هذا النشاط باسم المخابرات الايجابية وله وسائله المختلفة فى مباشرته ، أما الجانب الاخر فيعرف بإسم " المخابرات الوقائية" وتهدف إلى منع تسرب معلومات محددة إلى غير المسئولين سواء بالصدفة أو بمجهودات ايجابية معادية ، أى أنها تعنى جميع التدابير والاجراءات التى تقوم بها الدول بمعرفة المخابرات لتحقيق أمنها ووقاية اسرارها من نشاط الجواسيس والتخريب المادى والمعنوى ، وتسمى أحياناً بالمخابرات المضادة ، ويشتمل نشاطها على عنصرين أساسين هما :

الأمن الوقائي .. ويعنى جملة الجهود التى تبذل لاخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والقرارات الدبلوماسية وغيرها من المعلومات التى تؤثر على أمن وسلامة الدولة ، كما يعنى الاجراءات التى تتخذ لحماية الموارد الطبيعية ومناطق الأنتاج الصناعى ضد أعمال المخابرات والجاسوسية والتخريب التى يحاولها العدو.

مقاومة الجاسوسية .. وتهتم بالعمل ضد الجاسوسية كما أنها تعتبر الجانب الايجابى من المخابرات الوقائية ويمكن تعريفها بانها "المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذى تستخدمه مخابرات دولة لشل نشاط المخابرات الأجنبية فى أراضيها، وتوجيه نشاط الجاسوسية ضد جهود الجاسوسية الأجنبية ومهمتها

الأساسية هى البحث عن الجـواسيس وتتبـعهم وضبـط منظمــاتهم قبــل أن ينجحوا فى نقل أى معلومات. (*)

والواقع أن تدابير الأمن وأعمـال الوقاية تعتبر عمـلاً بسيطاً مستطاعاً فى حين أن مكافحة الجاسوسية هى أساساً عمل إيجابى، كما أنها على نطـاق واسـع واجب من أشق الواجبات وأكثرها تعقيداً. (١)

ومن كـل مـا سبق تناولـه عن المخـابرات يمكن أن نصل فـى النهايـة إلـى تعريف دقيق يعطـى تصـوراً كـاملاً لهـذه الكلمـة بأبعادهـا المختلفـة علـى النحـو التالى:-

"المخابرات هى الخطط المنسقة والمدروسة والموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها لأمداد

(*) حديث رئيس المخابرات العامة، المخابرات العامة.... لماذا؟ ، نشر بجريـدة الأخبـار بتـاريخ ١٩٧٦/٧/١٢

(١) لإيضاح هذا لو افترضنا أن مصنعاً ما يعمل فى إنتاج سلاح جديد فإن هذا المصنـع بمـا فيـه من آلات ورسوم ومواصفات لهذا السلاح يكون هدفاً للجواسيس ولهذا فإنه يكون فى المصنع مكتباً يتولى أعمال الأمن والوقايـة ودور هذا المكتب هو تنظيم هذه الأعمـال ومنـع تسرب الجواسيس داخل المصنـع والحيلولـة دون الوصـول إلـى الرسـوم والمواصفـات وذلـك عمـل ميسور وسهل، بينما يتعذر أن تقوم هيئة مكافحة التجسس بمراقبة كل الأجـانب والمواطنين فى كل أنحاء البلاد للوصول إلى الجواسيس الذين يهدفون إلى معرفة سر هذا السلاح الجديد.

المسئولين بالحقائق والتقديرات الواقعية وفى الوقت المناسب لوضع إستراتيجية الدولة، ولرسم سياسات معينة ولاتخاذ القرارات السليمة التى تكفل سلامة الأمن القومى للدولة، وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة فى اية صورة من الصور" . (*)

(*) أحمد هانى ، مرجع سابق ، ص ٣٠

أهمية المخابرات للدولة

كانت أعمال المخابرات عبر أزمنة التاريخ هى أبرز أعمال الزعماء والقادة، ثم أصبحت بالتدريج مجهوداً منظماً تأكد تماماً بعد الحرب العالمية الثانية، وأدركت الدول مدى الفائدة التى يمكن أن تعود عليها من إنشاء إدارات دائمة للمخابرات بها.

ولقد أصبحت أجهزة المخابرات اليوم من المؤسسات الحيوية التى لا غنى عنها لأية دولة بل صارت من أهم العوامل فى خدمة الأهداف الوطنية وأحد الضمانات الأساسية للإستقلال القومى.

وفى عصرنا هذا الذى تتضارب فيه المصالح لعدة قوى ولعدة أيديولوجيات تعيش الدولة متأهبة فى كل لحظة لمراجعة إحتمال أى عدوان قد تشنه عليها دولة أو مجموعة من الدول الأخرى، ولذا فإن الهدف الأسمى لأية دولة هو تحقيق أمنها وضمان إستقلالها وكيانها، وحينما تقوم الدولة برسم سياستها الخارجية فإنها لا تهتم فقط بمعالجة الموضوعات والمشاكل القائمة فحسب، ولكنها يجب أن تتكهن وتتنبأ أيضاً بما يحمله لها المستقبل القريب والبعيد من أحداث.

وهكذا يتوقف كيان الدولة وأمنها وسياستها الخارجية على مدى المعرفة التى تتوافر لديها ، وتوفير المعرفة المبكرة للدولة أمر لا بد منه لتجنب المفاجأت ولتكون قادرة على وضع سياستها قبل المعارك الاستراتيجية الطاحنة، ولم تكن الحرب يوماً لتعتمد على الشجاعة فقط فإن عدم كفاية تقدير "ستالين" لنوايا "هتلر"

الهجومية والنجاح الساحق لهجوم اليابان على "بيرل هاربر" لم يكن إلا نتيجة للقصور فى المعرفة المبكرة لنوايا العدو الحقيقية.

ولقد أصبحت الظروف الدولية المعاصرة تحتم مثل هذا النوع من العمل وهو وإن كان يرهق العلاقات الدولية أحياناً ولكنه ضرورى للغاية بالنسبة لها، ولقد عبر الرئيس الأمريكى السابق إيزنهاور عن هذا المعنى فى مؤتمر صحفى عقده فى مارس عام ١٩٦٠ عقب قضية طائرة التجسس الشهيرة "ى- ٢" الأمريكية التى أسقطتها السلطات السوفيتية فوق أراضيها عندما قال بأن أنشطة المخابرات تشكل فى نظره ضرورة كريهة ولكنها حيوية.

وفى تصريح "لوليام كولبى" المدير السابق لوكالة المخابرات الأمريكية جاء فيه "أن من حق الولايات المتحدة الأمريكية حفاظاً على أمنها أن تقوم بأعمال التجسس فى أى مكان فى العالم سواء فى الدول الصديقة أو المعادية، وقال أنه من الصعب التمييز بوضوح بين الأصدقاء وما يحتمل أن يصبحوا أعداء، أكرر أن يصبحوا أعداء، لأن التاريخ أثبت أن بعض الدول يمكن أن تكون الاثنين معاً. (*)

وفى التقرير الذى رفعته "لجنة هوفر" إلى الكونجرس الأمريكى تتضح مدى حاجة الدول إلى المخابرات وخاصة فى ظروف العصر الذى نعيشه، إذ ورد فى هذا التقرير ما يلى: (١)

(*) نقلته وكالات الأنباء بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٥.

(1) Commission of Organization of the Executive Branch of the Government Intelligence Activities, Op. cit.

" فى غمرة من التطورات الفنية والسياسية فى العصر الحديث لن يمكننا أن نقف مكتوفى الأيدى، ووجدنا أنفسنا مضطرين لتنظيم مخابراتنا أمام هذا التقدم العالمى السريع فى العلوم الالكترونية والأسلحة النووية والطائرات التى تسبق الصوت ".

ومن أقوال "الجنرال إيزنهاور" عن الحاجة للمخابرات "لو كان هناك نقص محسوس فى الخطط الإنشائية لكان هو الحاجة الأساسية للمخابرات "وفى مؤتمر صحفى عقده عندما كان رئيساً للولايات المتحدة أفاد بأنه منذ تسلم مقاليد الحكم دأب على إصدار أوامره بأن يتم تجميع كل المعلومات وبكل الوسائل الممكنة عن الإتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى، وفى تصريح أخر قال " إننى- بصفتى رئيساً للولايات المتحدة- أتحمل جميع المسئوليات المترتبة على إعتماد البرامج المختلفة التى وضعتها حكومتنا من أجل الحصول على المعلومات" .

وفى حفل وضع حجر الأساس لمبنى المخابرات بالولايات المتحدة يوم ٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٩ قال إيزنهاور: " أنه ليس هناك فى سياسة الولايات المتحدة ما هو أهم من جمع المعلومات بواسطة المخابرات" .

ويشير " كنيث سترونج " Kenneth Strong " (*) إلى أنه يمكن إعتبار المخابرات شيئاً شأنه شأن بوليصة التأمين بمعنى أنه كلما كانت السياسة أكبر فإن الأمن يستلزم التأمين ضد قدر أكبر من المخاطر وفى هذا المجال فإن القادة السياسيين

(*) Magor- General Kenneth Strong, Intelligence at the Top : the Recallections of An Intelligence Officer.

وحدهم لبلد مـا هـم الذيـن يستطيعون أن يقرروا قـدر القسـط أو المبلـغ الـذى يتـم تخصيصه للمخابرات لأنهم هم وحدهم الذيـن يعلمـون مـدى المخـاطر التـى يمكنـهـم الإستعداد لتحملهـا، وهـم وحدهـم الذيـن يستطيعون تقديـر الأهـداف الوطنيـة التـى يريدون تحقيقها وهم الذين يعرفـون مـدى التغيير الـذى يطـرأ علـى هـذه الأهـداف ونوع العلاقة بينها وبين التغيرات الخارجية.

ونشرت مجلة لوموند ديبلوماتيك مقالاً تحت عنوان "جهاز المخابرات ضمان أساسى للإستقلال الوطنى "جاء فيه : (*)

" طالما لم يتحقق نزع السلاح الشامل فإن أجهزة المخابرات ستظل فـى هـذا العالم العسير الذى نعيش فيه إحدى الضمانات الأساسية للإستقلال القومـى، ولكـن طالمـا ظـل الواقـع السياسـى والاستراتيجى علـى مـا هـو عليـه فـإن إدانـة أسـلوب المخابرات سيظل قاصراً على المجـال النظـرى مثلـه فـى ذلـك مثـل إدانـة إستخدام القنبلة الذرية ".

ولقد أصبحت المخابرات الحديثة إحدى الأدوات الأساسية لسياسة كل الدول، ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تعتبر وكالة المخابرات المركزية بمثابة جيـش الدفاع الرابع وتتساوى فى أهميتها مـع الطيران والبحريـة والقـوات البريـة، وفـى الاتحـاد السـوفيتى نجـد ان " لجنـة أمـن الدولـة تعتـبر نفسـها جهـاز فهـم وتنفيـذ للدبلوماسية أى أسلوب الاتحاد السوفيتى فى تحقيق سياساته تجاه الدول الأخرى.

(*) مجلة لوموند ديبلوماتك، مقال بقلم " قسطنطين ملينك " (ديسمبر ١٩٦٨).

وأن أعظم عمل قدمته المخابرات السوفيتية لبلدها هو أنها تمكنت من تعويض التخلف النووى للاتحاد السوفيتى عن طريق تجنيد علماء غربيين أمثال " الان نون ماى " Allen Nunn May، د.كلاوس فوخس D. Klaus Fuchs ، د. برونو بنتكورفوD.Bruno Pentecorvo (*). " حصلت منهم على أسرار صنع القنبلة الذرية "

وعن أهمية المخابرات قال الرئيس محمد أنور السادات "أن المخابرات ضرورة، ومهمتها الأساسية هى المشاركة فى حماية الوطن فى الخارج وفى الداخل، فى الخارج بتتبع العدو وملاحقة حركته، وفى الداخل بمقاومة محاولات العدو لتتبعنا نحن وملاحقة حركتنا ".

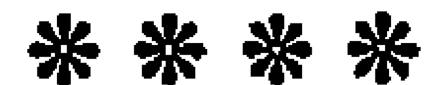
" فهى جهاز لتأمين الوطن ولكن يجب أن يكون هناك نطاق تمارس المخابرات دورها فى حدوده ومن خلاله وهى الاخلاق واحترام حرية المواطنين وتلك هى الحدود الطبيعية لعمل المخابرات " [١]

وهكذا يصبح من الضرورى أن يكون لكل دولة إدارة للمخابرات كإحدى المؤسسات الهامة والتى لايمكن الإستغناء عنها ، وتهتم الدولة بتنظيمها وتوفير الامكانيات اللازمة لها وتعمل على تطويرها حتى تتوفر لها القدرة على تحقيق

(*) Allen Moorehead, The Traitors, The Double Life of : Fuchs, Pontecorvo and Nunn((May .

[١] من حديث الرئيس محمد أنور السادات للعاملين بجهاز المخابرات العامة أثناء زيارته للجهاز بتاريخ ١٩٧١/٦/١٦ ، والمنشور نصه بالصحف اليومية الصادرة بتاريخ ١٩٧١/٦/٧.

أهدافها على أكمل وجه، وذلك لأن مستقبل الأمة يتوقف على دقة وكمال المعلومات التى تصل إليها المخابرات والتى تنير الطريق أمام القرارات العليا. للدولة فى سياستها القومية ، وترتبط منظمات المخابرات بسياسة وأهداف الدولة التابعة لها وتتفاوت الواجبات والمسئوليات الملقاه على عاتق منظمات المخابرات تبعا لمكانة الدولة وعلاقاتها بأعضاء المجتمع الدولى .



الصورة الذهنية لأجهزة المخابرات

نعرض فى هذا الفصل كمثال للصورة الذهنية لأجهزة المخابرات بصفة عامة من خلال دراسة صورة المخابرات الأمريكية والمخابرات السوفيتية .

وبادىء ذى بدء فلقد وجد أن الصورة الذهنية لأجهزة المخابرات بصفة عامة هى صورة غامضة ومشوهة، وذلك لما يكتنف طبيعة عمل هذه الأجهزة من غموض وسرية الامر الذى دعى صحفى أمريكى هو "جون جنتر" إلى أن يقول "فى خلال الاعوام الثلاثين التى قضيتها فى عالم الصحافة لم أواجه هيئة مثل المخابرات يصعب الكتابة عنها أو حتى معرفة شيء عنها" (*) ويرجع هذه الصعوبة إلى ماذكره رئيس المخابرات الامريكى فى ذلك الوقت من أن عضو المخابرات الذى يصرح بشىء عن ماهية أعماله لايمكن أن يصبح بعد ذلك عضوا بالمخابرات .

(*) يواخيم يوستن، المخابرات الأمريكية وكيف تعمل ، مترجم (١٩٦٣)

صورة المخابرات المركزية الأمريكية
C. I. A.

إنشئت المخابرات المركزية الأمريكية فى يوليو ١٩٤٧ وذلك عندما وافق الكونجرس الأمريكى على قانون الأمن القومى National Security Act .

وأخذت منذ ذلك التاريخ إسم الوكالة المركزية للمخابرات (C. I. A.) [*] ولم تمضى بضعة شهور حتى دخلت المخابرات الأمريكية أول اختبار لها فيما سمى بإسم "لجنة هوفر" التابعة للكونجرس، ففى يناير ١٩٤٩ أذيع قرار اللجنة وجاء فيه " فى عصر الذرة تصبح المخابرات خط الدفاع الأول " وهى الكلمة التى أصبحت شائعة ومألوفة تماما لكل من يعمل فى السياسة الخارجية الأمريكية . [١]

وفى أوائل ١٩٤٩ وافق الكونجرس على قانون جديد يعطى للمخابرات الأمريكية الإستقلال الذاتى ، وجاء بالقرار أنه يمكن لهذه الهيئة إستخدام وسائلها العنيفه ، وأن يكون لها حق الاشراف على كل الأجهزة الحكومية بما فى ذلك الجيش والبوليس ، وفى خلال السنوات العشر الاولى من عمرها أصبحت بمثابة أكبر هيئة تشرف على الجهاز الحكومى كله ، كما أصبحت أكبر ادارة للمخابرات فى العالم وأكثرها إنفاقاً وتنظيماً .

(*) حروف الـ C. I. A. هى اختصار لأسم الخابرات المركزية الأمريكية وهو :
Central Intelligance Agency .

(١) ديفيد وايز ، توماس ب . روس ، الحكومة المستتره ، مترجم (١٩٥٦)

ولقد كانت بداية الطريق الى تشويه صورة أجهزة المخابرات فى العالم كله على يد المخابرات الأمريكية ، وذلك فى أعقاب عملية الغزو الفاشله على كوبا فى ١٩ ابريل عام ١٩٦١ ، وهى ما عرفت بعملية " خليج الخنازير " .

وكانت البداية عندما تناولت الصحف ما سمى بقصة " أرامل برمنجهام الأربع " وهن أربع أرامل قتل أزواجهن فى عملية الغزو ، وكن يعيشن فى مدينة " برمنجهام " بولاية الاباما الأمريكية فى جو ملىء بالخوف والغموض لأن يداً خفية كانت ترسل لكل منهن شيكاً بمبلغ ٢٤٥ دولار كل أسبوع، وكن يخشين أن تكف هذه اليد الخفيه عن إمدادهن بذلك المبلغ إذ هن تكلمن كثيراً وبالطبع فان المخابرات المركزية المريكية كانت هى التى ترسل لهن هذه الشيكات تعويضاً عن فقدهن لأزواجهن .

وعندما عجزت والدة أحد الطيارين الأربعة عن معرفة أى شيء عن مصير ابنها بعد أن أنكر سلاح الطيران إن ابنها قد سبق له العمل فى خدمة الطيران الامريكى كتبت لرئيس جمهورية الولايات المتحدة نفسه ، ولكنها تلقت خطاباً من المستشار الجوى للرئيس جاء فيه " اذا امكننا الحصول على أى معلومات تختص بفقدان ابنك فسوف نتصل بك على الفور - ويؤسفنا ان نقول لك الان أن المخابرات المركزية الامريكية نفسها ، أو أى إدارة حكومية أخرى لاتملك أى معلومات عن موضوع إختفاء ابنك " .

ولقد ظلت المخابرات المركزية سراً من الأسرار الغامضة منذ نشأتها فى ١٩٤٧ وحتى إفتضح أمرها عقب غزو كوبا وحاول المسئولين - بعد فشل العملية

ومعرفة الدور الذى قامت به الوكالة - خداع الشعب الأمريكى وعمد المتحدث الصحفى للبيت الأبيض الى المراوغة فقال " أن الولايات المتحدة تحاول الوقوف على حقيقة الأمر " أما وزير الخارجية دين راسك " فقال : " إننا لم نتدخل ولن تتدخل فى كوبا ، ولقد أوضح الرئيس كيندى - رئيس أمريكا فى ذلك الوقت - أن أمريكا مصممة على أن تبذل قصارى الجهد لكى تضمن عدم إشتراك أى أمريكى فيما يحدث فى كوبا " .

وأصدرت وكالة المخابرات بياناً جاء فيه : " أن الناس ظنوا خطأ أن نزول القوات على شاطىء كوبا كان غزواً ، مع أنه فى الواقع لم يكن إلا عملية لإرسال المؤن الى المواطنين الذين يقاتلون فى كوبا منذ عدة أشهر " .

واختفت قصة الأرامل الأربعة من الصحف لفترة ، ثم عادت مرة ثانية وبشكل واضح عندما أعلن زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ أن أربعة طيارين أمريكين قد قتلوا فى خليج الخنازير ، وأنه قد عرف بهذا الخبر نتيجة إستقصاء مسأله غزو كوبا، وكان لهذا التصريح أثره الكبير فى إحراج حكومة كيندى الذى كان قد صرح بأن الحكومة لن تسمح للأمريكين بالتدخل ، وأن أحداً لم يلق حتفه فى خليج الخنازير ،وبعدها أدلى روبرت كيندى بتصريح للصحفين قال فيه أن عملية خليج الخنازير كانت بتدبير من المخابرات المركزية الامريكية ورؤساء الجيش ، وانه كان على الرئيس أن يوافق على هذه العملية ، وتقع مسئولية التخطيط على المخابرات المركزية .

وتناولت الصحف قصة والدة الطيار " شامبورجر " وتساؤلاتها عن مصير ابنها وسأل أحد الصحفيين الرئيس كيندى عن الطيارين الأربعة الذين قتلوا فى

خليج الخنازير وهل استخدمتهم الحكومة أم المخابرات الأمريكية وقال الرئيس " يمكن أن أقول أن عدداً من الأمريكين قد قاموا أخيراً بخدمة بلادهم بطرق مختلفة فى الخارج ، وأن بعضهم قد فقد حياته وأن ما قاموا به كان طواعيه منهم " وهكذا وجدت الحكومة نفسها فى ورطه ، فلم يكن فى إمكانها أن تعترف اكثر من ذلك والا كان إعترافها هذا إقراراً بانها ضللت الرأى العام الأمريكى .

وكانت هذه القصة هى بداية الطريق الى إهتزاز صورة المخابرات فى أمريكا وفى العالم أجمع ، واعتبرتها الصحف من أكبر فواجع هذا العصر المنكوب بوحش هائل يدعى المخابرات ، وحش يمتلك أفتك أسلحة الدمار والغش والكذب والتآمر على الجنس البشرى ، وحش يطيح بالزعماء ، ويقوم بالغزو ، ويثير الحرب والفتن ، ويسلب الحريات ، ويقوم بالأعمال الإرهابية ، ويغرق بلدان العالم بالأنباء والمعلومات الكاذبة ، ويدبر الاغتيالات وأعمال الخطف ، ويقلب الحكومات ويثير الجيوش ويتجسس فى كل مكان .

ومما ساهم أيضاً فى تشويه صورة المخابرات الأمريكية حادث إسقاط طائرة التجسس الامريكية " U.2" ، فلقد أسقطت روسيا طائرة تجسس أمريكية يقودها الطيار " فرانسيس باورز " ، وصدر بعد ذلك بيان تكذيبى من المخابرات الأمريكية يقول " لم تكن هناك أى محاولة مقصودة لخرق حرمة الأجواء السوفيتية" ، يتبعه بيان آخر يقول " لقد تبين من التحقيق الذى أمر به الرئيس أيزنهاور انه لم يعط الاذن لأى طيار من ذلك النوع الذى وصفه السيد خروشوف ومع ذلك يبدو أن طائرة مدنية من طراز " يو - تو " قامت بالتحليق فوق أراض الاتحاد

السوفيتى فى محاولة للحصول على المعلومات المخبأه خلف الستار الحديدى "

وعندما انكشفت الحقيقة جاء إعتراف صريح فى بيان آخر على لسان أيزنهاور قال فيه : " يجب ألا نجازف قط بقواتنا الرادعة ، أن سلامة العالم الحر بأسره تتطلب ذلك ، ولهذا فانى أصدرت التعليمات منذ توليت الرئاسة كى تجمع المخابرات الأمريكية - بكل الطرق الممكنة - المعلومات اللازمة من أجل حماية الولايات المتحدة والعالم الحر ضد أى هجوم مفاجىء ومن أجل تمكينها من تحقيق الاستعدادات الفعالة للدفاع " ، ولقد أدت هذه الحادثة الى إنهيار مؤتمر القمة بباريس بين كل من أيزنهاور وخروشوف .

ولم يقتصر دور المخابرات الأمريكية على القيام بعمليات الاستخبارات بل تجاوزته الى ما يطلق عليه الأمريكيون أنفسهم إسم " العمليات القذرة " D. Tricks وهو التدخل الفعلى فى شئون الدول الأخرى ، بما فى ذلك الانقلابات والمؤامرات والغزو والاغتيال والرشوة والتخريب .

وأصبحت حروف C. I. A. ترمز الى تدخل أمريكا فى إيران عام ١٩٥٣ (عملية خلع مصدق) وجواتيمالا عام ١٩٥٤ ، وغيانا البريطانية عام ١٩٦٤ وجمهورية الدومنيك عام ١٩٦٥ .

كما إرتبط إسم المخابرات الأمريكية كذلك فى الصحف والمجلات الأمريكية بأسماء توضح مدى غموضها وفسادها وإنحرافها ، فوصفتها جريدة " الهير

الدتربيون " بأسماء " دولة فى الظلام تحكم العالم " ، " دولة داخل الدولة ، " الحكومة الخفية " ، " دولة المخابرات المركزية " ، ووصفتها جريدة النيويورك تايمز باسم " المخابرات الأمريكية الشاذة " ووصفتها مجلة " ذى نيشان " The Nation " باسم " المفسد العظيم ، " والتاريخ الأسود " وغيرها من الصفات التى تعكس صورتها الذهنية السيئة لدى الجماهير ، ويفسر الأمريكيون أحياناً الحروف الثلاثة (C. I. A.) والتى تعنى المخابرات المركزية بصوة أخرى تتضمن كثيراً من معانى السخرية عليها ففى عام ١٩٦١ كانت هذه الحروف تعنى لهم " قيادة غزو كوبا " (*) وذلك بعد فشل عملية غزو كوبا ، وفى عام ١٩٦٣ كانت تعنى لهم " ضبط متلبساً بالجريمة " (1) وذلك بعد أن أبعد عدداً من رجال المخابرات الأمريكية من موسكو لقيامهم بنشاط مضاد .

كما تعرضت المخابرات المركزية كذلك لأكبر حملة من النقد والهجوم من جانب الكونجرس الأمريكى وهاجمها العديد من أعضاء الكونجرس فى الصحف

(*) Caribian Invasion Army . (C. I. A.)

(1) Caught In the Act . (C. I. A.)

ولقد أصدر مكتب الاستعلامات السوفيتى بموسكو عام ١٩٦٣ كتاباً بنفس الاسم عن أعمال الجاسوسية الأمريكية فى العالم وذلك لتشويه صورتها .

والمجلات وفى قاعات المجلس وطالبوا بالحد من نشاطها والرقابة والإشراف عليها . (*)

ولقد فاقت حملات الهجوم على جهاز المخابرات الأمريكية كل تصور وخلقت التحقيقات التى تجريها لجان الكونجرس الأمريكى رأياً معادياً لها بحيث أصبح موضوع المخابرات المركزية موضوعاً يومياً تعالجه الصحف ويتناوله المعلقون فى الإذاعة ومحطات التليفزيون .

وقد واصل الأمريكيون الذين صدموا من جراء فضيحة ووترجيت محاسبة وكالة المخابرات المركزية ومراجعة نشاط أجهزتها السرية ويتمثل ذلك فى ثلاث تحقيقات رسمية على الأقل .

فمن جهة نجد اللجنة التى رأسها " نلسون روكفلر " نشرت تقريرها وجاء فيه أن وكالة المخابرات المركزية الأسطورية كانت تقوم " بأنشطة غير مشروعة " فى أراضى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، فقد تجسست وأعدت بطاقات أدرجت فيها أسماء أحد عشر ألف مواطن أمريكى ،وكان هذا التجسس وتلك

(*) علي سبيل المثال كتب السناتور يوجين ماكارثى (عضو الكونجرس فى ذلك الوقت) مقالا فى صحيفة " ساتر داى إيفننج بوست " يهاجم فيه المخابرات الأمريكية جاء فيه " لقد أصبحت وكالة المخابرات المركزية أداة مستقلة ترسم وتنفذ مخططاتها فى مجالات السياسة الخارجية للولايات المتحدة دون أى إشراف عليها من قبل الحكومة ، والواقع أنها نصبت من نفسها حكومة لا يحاسبها على أعمالها أحد غير المسئولين عنها ".

القوائم أو البطاقات تتم لأسباب سياسية ، كما قامت بتركيب أجهزة تصنت وانتهكت سرية المواصلات واطلعت فى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٧٣ على أربعة مليون رسالة كانت ضمن المراسلات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ، كما أنها أخضعت بعض عملائها إلى تجارب إستخدم فيها عقار الهلوسة مما أدى إلى إنتحار بعضهم " (*).

وكانت ثمة شكوك تحوم حول كافة هذه المسائل غير أن تأكيد ذلك فى تقرير رسمى موقع من نلسون روكفلر (١) جعل منها موضوعاً يحتل الصفحات الأولى من الصحف العالمية وأثار ردود فعل واسعة النطاق عبر الولايات المتحدة كلها .

ولقد وصفت صحيفة النيويورك تايمز تقرير روكلفر بأنه "لوحة مليئة بالأعمال اللا شرعية وغير المقبولة والتى أقدمت عليها وكالة المخابرات المركزية ضد المواطنين الأمريكيين فى جميع القطاعات ولفترة طويلة .

وهناك لجنة أخرى رأسها السناتور فرانك تشيرش وهى اللجنة التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى وكانت تتولى التحقيق فى الأنشطة السرية لوكالةالمخابرات المركزية ولقد ذكر تشيرش أن الهدف من فتح ملف (C. I. A) فى هذا الوقت بالذات هو وقبل أى شىء آخر إشعار للرأى العام الأمريكى والعالمى

(*) Report to President by " The Commission on C. I. A.Activites withen the United States

(١) نائب الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت

بأن الولايات المتحدة ليست دولة شريرة يحكمها عدد من الأشرار كما هو شائع فى هذه الأيام .

واستمعت لجنة السناتور تشيرش إلى شهادات كثيرة تفيد أن الرؤساء إستخدموا الوكالة بشكل روتينى فى أداء أعمال قذرة فى الخارج ولكنها لم تعثر على دليل مؤكد بالتواطؤ فى مؤامرات إغتيال ، وحول هذه النقطة الهامة ذهب السناتور إلى حد القول بأن لجنته قد تصور الوكالة على أنها "فيل شرير هائج يعربد دون سيطرة عليه"

وهناك تحقيق ثالث أجراه مجلس النواب الأمريكى وقد تعرض لعدة عراقيل بسبب النزاعات الداخلية للمجلس وهو ما عرف بتقرير " بايك" حيث قام المجلس بتشكيل لجنة برئاسة "أوتس بايك" عضو الكونجرس عن ولاية نيويورك ، ووضعت اللجنة تقريرها فى يناير ١٩٧٦ وأفردت به ٨١ صفحة عن المضايقات التى تعرضت لها من جانب السلطة التنفيذية لعرقلة وضع التقرير، خاصة فيما يتعلق بإستدعاء بعض الشخصيات الهامة للادلاء بأقوالهم أمام اللجنة وقد واجه رئيس مجلس النواب حرجاً فى نشر التقرير وذلك لما تضمنه من إدانة للسلطة التنفيذية ومسئوليتها عن إنحرفات بالمخابرات والأعمال غير المشروعة التى قامت بها ، واشترط رئيس المجلس موافقة السلطة التنفيذية لاصدار التقرير ونجحت الحكومة الأمريكية فى عدم إصداره إلا أن صحيفة إقليمية وهى صحيفة "The Village Voice" " نجحت فى الحصول على نسخة من التقرير ونشرته فى فبراير ١٩٧٦ مما كان له أكبر الأثر فى تشويه صورة المخابرات الأمريكية.

ولا زالت الصحف الأمريكية تنشر العديد من التحقيقات الصحفية والتصريحات التى أدلى بها عملاء سابقين لوكالة المخابرات المركزية أحيلوا إلى

المعاش وقرروا أن يتحدثوا عن فترة عملهم فى هذه الوكالة الأسطورية كما أصدر بعضهم كتباً عن الوكالة والأدوار التى قاموا بها طوال فترة تواجدهم فيها (*).

ولقد إضطرت المخابرات المركزية أزاء العديد من الفضائح التى تواترت الواحدة بعد الأخرى الى كشف النقاب عن بعض الجوانب " الخيرة " للوكالة أملا فى استعادة مركزها وكسب ثقة الشعب الامريكى فى جهودها التى فاقت كل حد ، ومحاولة منها لامتصاص النقمة العارضة التى تجتاح الولايات المتحدة فى كل مرة تثار فيها قضية هذه الوكالة فى داخل البلاد أوخارجها .

(*) أشهر هذه الكتب هى :

1- The C I A Mafia Link : The Inside Secrets of Assasination American-Style, By Charies Ashaman.

2- A Thousand Days in the White House, By Arthur Schlesinger .

3- Who" s Who in C I A, Mader.

☆ نشرت مجلة روز اليوسف تلخيصا للكتاب بعددها الصادر فى ١٩٦٨/٨/٥.

4- Inside Company : C I A Diary, By Philip Agee.

☆ نشرت مجلة "آخر ساعة" عرضا للكتاب فى ٣ حلقات وذلك إعتباراً من العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٧/٧/١٣ وحتى ١٩٧٧/٧/٢٧ تحت عنوان "داخل المجموعة .. يوميات وكالة المخابرات الأمريكية"

5- The Real Spy World, By Miles Copland.

☆ نشرت مجلة آخر ساعة عرضا للكتاب فى ٣ حلقات وذلك إعتبارا من العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٩/١/٣١ وحتى ١٩٧٩/٢/١٤.

6- The C I A and The Cult of Intelligence, By Victor Marchetti & John D. Marks.

☆ نشرت مجلة الحوادث اللبنانية عرضا للكتاب فى ١٥ حلقة وذلك إعتبارا من العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٩/٤/٢٢ وحتى ١٩٧٩/٨/٥ تحت عنوان المخابرات الأمريكية وعبادة الاستعلام"

وأوعز المسئولين إلى بعض الكتاب والصحفيين بكتابة بعض الكتب والمقالات لمحاولة تغيير الصورة الذهنية السيئة للوكالة فى نظر الشعب الأمريكى وبعض الدول الحليفة وذلك عن طريق نشر معلومات تعتبرها الوكالة من مفاخرها المأثورة مثل :

* معرفتها الدقيقة بتاريخ تفجير الصين لقنبلتها الذرية .

* الأعلان عن شبكتها الالكترونية الهائلة فى جميع أنحاء العالم .

* إستخدامها للجاسوس الروسى " بانكوفسكى " للوصول داخل الكرملين ونشر مذكراته .

* المعلومات الثمينة التى حصلت عليها بواسطة طائرة التجسس (يو - ٢) فوق الأراضى السوفيتية .

كما قررت كذلك السماح ولأول مرة فى ١ / ٦ /١٩٧٧ بزيارة وفود من المواطنين والسياح للمقر الرئيسى لها والذى يقع فى أحد ضواحى واشنطن ، وصرح متحدث رسمى بإسم الوكالة (*) أنه سيتم تنظيم الزيارات للوكالة يوم

(*) نقلته وكالة (أ. ب) من واشنطن بتاريخ ١٩٧٧/٦/١ ونشر بجريدة الأهرام فى ١٩٧٧/٦/٢ بعنوان "وكالة المخابرات العامة تفتح أبوابها للسياح"

السبت من كل أسبوع ، وسيقوم أحد المسئولين بمرافقة الزوار لشرح بعض أوجه النشاط التى ستعرض للجمهور بحيث لا يتعارض ذلك مع إستمرار العمل داخل المبنى (*)

كما قام رئيس المخابرات الأمريكية "الان دالاس" بالأشتراك بنفسه فى هذه المحاولات والتى تستهدف تحسين الصورة من خلال واقعة طريفة تناقلتها الصحف ووكالات الأنباء. (١).

(*) وهو نفس الأسلوب الذى استخدمته المخابرات العامة المصرية قبل ذلك التاريخ فى محاولاتها لتحسين صورتها الذهنية وذلك عندما وجهت الدعوة إلى عدة قطاعات من ممثلى الرأى العام والجماهير للتعرف عن قرب على مهام الجهاز والجهد الذى يبذله العاملون فى سبيل أمن الوطن والمواطن فوجهت الدعوة إلى عدد ٢٠ من أعضاء مجلس الشعب لزيارة الجهاز فى ١٩٧٦/٢/١٥ ووفد من المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفين فى ١٩٧٦/٢/١٨ (الصحف اليومية الصادرة بتاريخ ١٩٧٧/٢/١٦ ، ١٩٧٦/٢/١٩).

(١) عمد "الآن دالاس" فى إحدى الاجتماعات الهامة لمجلس الأمن القومى إلى أن يغادر الاجتماع قبل نهايته بقليل وأن يترك حقيبته السوداء والتى كان يبدو واضحا أنها لم تغلق بعد ، وعند نهاية الاجتماع اكتشف المسئولون أن رئيس المخابرات قد غادر المبنى ، وعلى الفور تم تعيين حراسة مشددة على الحقيبة ولم يغادر أحدا من المسئولين قاعة الأجتماع لحين الأتصال به وابلاغه بالموضوع ، وعندما تم الإتصال أمر الان دالاس أن ترسل إليه بمكتبه مع أى من سائقى المجلس ، وعندما نبهه المسئولون إلى أن الحقيبة غير مغلقة طمأنهم إلى أنه يعرف ذلك جيدا وطلب منهم أن يفتحوا الحقيبة لمعرفة محتوياتها وعندما فتح المسئولون حقيبة رئيس المخابرات المركزية وجدوا فيها مجموعة من الصحف والمجلات اليومية وبعض مناديل اليد وكيسا من دخان البايب وأدوات التدخين ، وكان الآن دالاس يقصد من ذلك أن يكسر هالة الهيبة والغموض التى تحيط بشخص رئيس المخابرات بإعتبارة بشرا عاديا لا يشترط أن تحتوى حقيبته دائماً على جميع أسرار الدولة.

صورة المخابرات السوفيتية

K. G. B.

كانت المخابرات السوفيتية (K. G. B.) (*) تعكس قوة الشيوعية الدولية ونفوذها وذلك قبل اندحار النظرية الشيوعية فى العالم وتفكك الاتحاد السوفيتى، ولقد تطورت فى نشأتها من نظام الشرطة إلى نظام الأجهزة المتخصصة ولكنها إحتفظت بكثير من تقاليد أجهزة الشرطة السرية من عهد " بطرس الأكبر " الذى أراد أن يكون له النفوذ المطلق دون أن ينازعه فيه أحد ، فقام بتنظيم مجموعات من الجواسيس والمخبرين السريين والسفاحين الذين أطلق عليهم " Fiscals " " وكانوا يتميزون بالطاعة العمياء والتحمس لنشر مظاهر الرعب والفزع إلى حد لم يسبق له مثيل ، واعتاد المواطن الروسى لمدة طويلة أن يكون رهينة فى أيدى السلطة وكان الأرهاب هو السلاح الوحيد لذلك . (١) .

ثم كان القيصر " نيكولاس الأول " والذى عرف بإسم الطاغية وهو الذى أنشأ مكتب الجاسوسية البوليسية الخاصة وعرف بعد ذلك باسم " المكتب الثالث " وكان رؤساء هذا المكتب لديهم سلطة اتخاذ أى قرار يرونه فى مصير أى من الرعايا الروس ومنذ ذلك الوقت كان المواطن الروسى يتوقع أن يزوره أحد عملاء البوليس الخاص ليبلغه أنه يجب عليه لمصلحة الدولة ولأمنه الشخصى أن يسافر إلى جهة نائية فى " سيبريا " .

(*) حرف الـ K. G. B. هى أختصار لأسم المخابرات السوفيتية وهو :

komitet Gossudavstwennof Beopasnosty .

(1) E. Cookridge , the net that covers the world .

وكان أى حكم يصدره المكتب الثالث غير قابل للاعتراض أو الدفاع القانونى أو الاستئناف .

وفى سنة ١٨٧٨ تم حل القسم الثالث ونقلت مهامه إلى " الأوخرانا " أى قسم الأمن فى وزارة الداخلية ، وكان الواجب الأول للأوخرانا هو حماية القيصر وكبار المسئولين وكان عملاؤها يقومون فى سبيل أداء هذا الواجب بمتابعة وتسجيل جميع التحركات لكل روسى لديه ذرة من الذكاء أو قدرة على الحركة [*] .

وهكذا ساهمت هذه العوامل التاريخية فى تشويه صورة المخابرات السوفيتية إلى جانب " تأثر الحكومة والمسؤلين السوفيت بروح وأساليب وتنظيمات العمل السرى والذى نتج عن الميراث الطويل للنظم القيصرية والفردية التى حكمت روسيا قبل أكتوبر ١٩١٧ ، وقد إنعكس هذا الميراث على جهاز المخابرات السوفيتى الذى أنشىء فى أعقاب الثورة الشيوعية حيث أبقى الحكام الجدد على بعض المؤسسات القديمة " [١] .

وكانت بداية تشويه الصورة بالنسبة للمخابرات الروسية هى الفترة التى تولى قيادتها " بافلوفتش بريا " (طوال مدة ٣٧ عاما) واليه يرجع العامل الأكبر فى تشويه صورتها داخل الاتحاد السوفيتى نفسه وذلك لشدة بطشه بالاضافة إلى مطامعه الشخصية للوصول إلى أعلى المناصب فى روسيا .

---

[*] مونرو ماكلوكلوسكى ، مجتمع المخابرات الأمريكية ، مترجم .

[١] نور صالح ، جواسيس غيروا مجرى التاريخ (دار المعارف ١٩٧٣) .

وإلـى " بريـا " تنسب عمليـات المذابـح الكـبرى داخـل وخـارج الأتحـاد السوفيتى وتصفية أنصار تروتسكى والاشتراكين المعادين للاتحاد السوفيتى.

وبعد وفاة ستالين فى مارس ١٩٥٣ كان أهـم مـا يشـغل قـادة الحـزب هو تطهير جهاز المخابرات ، وكان بريا أحد ثمانية رجال من المخابرات نفذ فيهم حكم الأعدام وكان الاخرون يشغلون مناصب هامـة مثـل " رئيـس أمـن الدولة ورئيس القسم الأجنبى ورئيس القسـم الخـاص ونـائب رئيـس الجهـاز ورئيس المكتب المركزى للأمن الداخلى وكلهم من قادة المخابرات السوفيتية وقد أتضح من التحقيق أن كل منهم كان متورطاً فى وقت ما فى جرائم القتل والاغتيالات فى داخل الأراضى السوفيتية وفى كثير من دول الغرب .

وبعد التخلـص مـن بريـا قـام خروشـوف والمجموعـة المؤيـدة لـه فـى الحزب بإعادة تنظيم المخابرات وانشأوا لجنة أمن الدولة وحرصوا علـى أن يضعوها فى إطار من القيود حتى لا تشكل خطراً على القيادة الحاكمة .

اما بالنسبة لصـورة المخـابرات السـوفيتية فـى الخـارج فيمكـن الحكـم عليها من خلال التعرف على حجم عمليات الأبعاد والطرد لضباط المخـابرات السوفيتية فى كثير من بلاد العـالم وذلـك بعد أتهـامهم بالقيـام بنشـاط هدام والتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد .

* ففى سنة ١٩٧١ طردت المكسيك خمسة من ضباط المخابرات السوفيتية بعد أن تأكد لها أنهم جندوا عدداً من الطلبة المكسيكين تم تدريبهم فى كوريا الشمالية ثم أعادوهم لشن حروب العصابات .

* وفى بريطانيا جمعت السلطات الأدلة المؤيدة بالوثائق على وجود حملة من جانب المخابرات السوفيتية تستهدف إفساد ضمائر عدد من السياسين والعلماء ورجال الأعمال وموظفى الحكومة ، وكان ضمن ما توصلت اليه السلطات أن المخابرات السوفيتية وضعت خططاً لتخريب المدن البريطانية حتى فى وقت السلم، وطلبت الحكومة البريطانية سراً من السفير السوفيتى أن يغادر البلاد ، ولما وجدت بريطانيا أن السوفيت تجاهلوا بإزدراء هذه الطلبات المهذبة قامت علناً فى سبتمبر ١٩٧١ بطرد ١٠٥ من ضباط المخابرات السوفيتية .

* وفى اكتوبر ١٩٧١ طردت بلجيكا تسعة من ضباط المخابرات السوفيتية.

* وأعلنت ألمانيا الغربية أنه فى سنة ١٩٧١ زادت أعداد المواطنين الذين أبلغوا عن إتصال المخابرات السوفيتية بهم لتحريضهم على القيام بأنشطة هدامة بنسبة ٢٢٪ وقامت بمحاكمة ٤٧ مواطناً ألمانياً بتهمة الخيانة والأتصال بالمخابرات السوفيتية .

* وفى مارس ١٩٧٢ طردت بوليفيا ٦٩ مندوباً من ضباط المخابرات السوفيتية لقيامهم بانشطة هدامة .

* وفى أغسطس ١٩٧٢ طردت كولومبيا ٣ من ضباط المخابرات السوفيتية لقيامهم بنشاط هدام ايضاً .

* وخلال الفترة التى انتهت بنهاية عام ١٩٧٠ طردت ٤٦ دولة عدد ٢٢٦ مندوباً سوفيتياً ، وفى الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٣ وجدت ٢٢ دولة أن من الضرورى بالنسبة لها أن تطرد ١٦٤ من السوفيت من أراضيها نظراً لما كانوا يقومون به من نشاط خفى غير مشروع .

ويعد كل إخفاق فى أى عملية يقوم بها جهاز المخابرات السوفيتى أو طرد لمندوبيه هزيمة وتشويهاً لصورته الذهنية على نطاق دولى .

وبعد دراسة صورة كلاً من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات السوفيتية يمكن ان نخلص إلى مجموعة من النتائج فيما يتعلق بالصورة الذهنية لأجهزة المخابرات بصفة عامة على النحو التالى :

١ – لا يقتصر الهجوم على أجهزة المخابرات داخل دولها فقط كما قد يظهر للمواطن العادى ، ولكن الحقيقة أنه توجد حرب سرية وعلنية دائرة بين أجهزة المخابرات الكبرى فى العالم ، إذ أن فضائح المخابرات عموما لا تكشفها إلا أجهزة مخابرات أخرى ، والمثال الواضح لذلك كان الحرب الضارية بين جهاز المخابرات الأمريكية وجهاز المخابرات السوفيتية ، والذى بدأ علانية فى الصحف والكتب بعد الحرب العالمية الثانية وظل ملتهباً طوال الخمسينيات والستينيات ، ويمكن على ضوء ذلك أن نقول أن الجانب الأكبر من تشويه صورة أجهزة المخابرات يأتى من هجوم أجهزة المخابرات الدولية على بعضها البعض .

٢ – أن طبيعة العمل السرى فى عصر أصبح مكشوفاً فى كل شىء وفى ظل وسائل اتصال بلغت حد الإعجاز ، هذه الطبيعة السرية فى حد ذاتها تقدم إغراءً كافياً لكل الذين يتحدثون عن حرية وكرامة الانسان ، لكى يهاجموا أجهزة المخابرات .

٣ – إن أجهزة المخابرات فى العالم الثالث عموماً موقفها صعب للغاية إزاء السلطات الحاكمة فى هذه الدول ، إذ تخشى السلطة دائماً من نمو حجم وصلاحيات هذه الأجهزة بالقدر الذى يهدد باهتزاز أو انقسام السلطة

ذاتها ، وفى حالات معينة نجد أن أجهزة المخابرات تتعرض للنقد والهجوم من جانب السلطة الحاكمة نفسها بأمل تصفية فاعليتها وشلها أيضاً اذا لزم الأمر .

٤- إن أجهزة المخابرات تهاجم أيضاً على طريقة " قميص عثمان " بمعنى أنه اذا أردت أن تبعد عن نفسك اللوم فإن فى الامكان أن تلصقه بالآخرين ، والمخابرات عموماً بسريتها وسمعتها مؤهلة تماماً لهذا الدور فى كل وقت .

ومن خلال هذا العرض يتضح أن طبيعة عمل أجهزة المخابرات وما تفرضه عليها ظروف السرية والأمن يجعلها تصور دائماً وفى كل العصور وكل البلاد بصورة سيئة ودائماً ما تحاط بهالة من خيال واسع لا تتفق مع الواقع ، وتتفاوت هذه الصورة طبقاً للظروف الداخلية والسياسية لكل دولة .

فالمخابرات الروسية مثلا لا تهاجم من الداخل ، ولكن من أجهزة المخابرات والوكالات الأخرى ، والمخابرات البريطانية مثلا ليست سيئة السمعة بقدر كبير (*) وكذلك فإن المخابرات الفرنسية لم تكن لها جرائم أو أخطاء بالنسبة للفرنسيين واقتصر إنحرافها عن واجبها الأساسى على الفترة التى كانت فيها فرنسا دولة إستعمارية أبان حكمها للجزائر وفيتنام .

(*) شخصية " جيمس بوند " التى خلقها الكاتب أيان فلمنج هى شخصية اسطورية تمجد المخابرات البريطانية وهى الجهاز الذى يعمل له بإعتباره ضابطاً به .

وهكذا فإن حملات التشويه والنقد التى تتعرض لها أجهزة المخابرات هى أمر طبيعى بالنسبة لظروف العصر الحاضر ، وتطور وسائل الاتصال فيه ، وأن طبيعة هذه الأجهزة وغموضها يجعلها مؤهلة دائماً لهذا النقد والهجوم .

وإن ما ينطبق على.هذه الأجهزة بصفة عامة ينطبق على جهاز المخابرات العامة المصرية كذلك ، وهى وأن كانت ظاهرة صحية إلا أننا لا يمكن أن ننكر الآثار السلبية التى تتعرض لها هذه الأجهزة نتيجة محاولات التشكيك والتشويه فيها والذى قد يؤثر على كفاءتها ومعنويات العاملين بها على الرغم من أهمية الدور الذى تؤديه لخدمة أوطانها .

الآثار السلبية لتشويه الصورة الذهنية لأجهزة المخابرات

يؤدى الهجوم على أجهزة المخابرات وتشويه صورتها الذهنية فى اذهان الراى العام إلى احداث مجموعة من الآثار السلبية والتى تؤثر على العاملين فيها ، وعلى تعاون كل من العملاء والأصدقاء معها ، وعلى نتائج أعمالها وأسرارها .

ونعرض فى هذا الفصل لبعض هذه الأثار السلبية والنتائج التى ترتبت على تشويه صورة المخابرات الأمريكية فى أذهان الرأى العام الأمريكى والعالمى، مع الأخذ فى الاعتبار أن مثل هذه الاثار السلبية والناتجة عن تشويه الصورة تنطبق إلى حد كبير على جميع أجهزة المخابرات بصفة عامة بما فى ذلك جهاز المخابرات المصرى مع بعض الأختلافات فى درجات هذه النتائج وأهميتها النسبية.

ولقد كانت " فضائح " وكالة المخابرات الأمريكية موضوعاً تناولته وسائل الاعلام الأمريكية لفترات طويلة ، وأجمعت التقارير والتحقيقات الصحفية على أنه يوجد بين كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية شعوراً متزايداً بالقلق يفيد بأن تحقيقات الكونجرس فى نشاطات وكالة المخابرات المركزية بالاضافة إلى الاتهامات الصحفية المتكررة لها والكشف المتوالى عن نشاطاتها قد أنزلت ضرراً

جسيماً بفاعلية الوكالة ، ذلك أن الروح المعنوية قد هبطت بين كبار المسئولين فيها والذين يؤكدون فى مرارة أنهم ضحايا لعملية المطاردة والاضطهاد وخاصة بعد عملية ووترجيت .

كما أصبح الحلفاء القدامى فى الخارج يترددون فى التعاون مع الوكالة خشية أن تتسرب أسرارهم أو أن تتعرض مصادر معلوماتهم للخطر ، كذلك فإن العمليات الأمريكية لجمع المعلومات عن الاتحاد السوفيتى أصيبت بالضرر .

ويمكن تلخيص الأثار السلبية لتشويه الصورة الذهنية للمخابرات الأمريكية فى النقاط الآتية

أولاً : فقدان الدافع للعمل وهبوط الروح المعنوية

نشرت مجلة التايم تحقيقاً صحفياً جاء فيه (*) أن رئاسة الوكالة تؤكد بقوة أنها أصبحت تعمل الآن بنسبة ٩٠٪ من فعاليتها القديمة وحتى بعد مرور سنة على التحقيقات والتشهيرات التى تتعرض لها ، ويعلق أحد كبار الخبراء على جهود المخابرات الأمريكية بقوله " أن تحليلاتهم لم تعد ممتازة وعملياتهم السرية أصبحت هامشية ، ودرجة التقدير الطيبة التى كانت تنالها الوكالة أصبحت تحتسب بالسالب " .

(*) مجلة التايم ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٨/٤ (تحقيق بعنوان : هبوط الكفاءة والدوافع والروح المعنوية للمخابرات الأمريكية) .

" وعلى سبيل المثال ، فإن موجز المعلومات اليومى والذى يقدم للرئيس الأمريكى كان ياتى بأكمله تقريباً من وكالة المخابرات المركزية ، أما الآن فان هذا التقرير يعتمد بشكل كبير على المواد التى تأتى عن طريق مكتب المعلومات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية وهى مواد لا تشتمل على رؤى نافذة كثيرة " .

" وكان من نتائج ذلك ايضاً الأضرار بالعمليات السرية وشبه العسكرية للوكالة فقد أعتادت الوكالة أن تقترح حوالى ٩٠٪ من هذه المهام – وكان الباقى يأتى عادة عن طريق وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومى- أما الآن فإن توصيات الوكالة فقد جفت ، كما أصبحت إدارة العمليات هامدة ومشلولة " .

" ومن العوامل الأساسية التى تغل يد وكالة المخابرات المركزية هو تحديد المسئولية عن " العمليات السوداء " وقد جرى العرف فى العمل منذ مدة طويلة على أن يتم وضع عمليات الوكالة بالتشاور مع مساعد وزير الخارجية الذى يختص بالمنطقة التى ستنفذ فيها العملية ، أما الآن فإن مساعدى الوزراء يترددون فى تأييد مثل هذه العمليات فهم يخشون من أن يأتى يوماً يضطرون فيه للرد على استجوابات بشأن تلك العمليات أمام لجان الكونجرس ، ويلخص مصدر عال الموقف بقوله " كان من المحتم أن يلجأ الرسميون إلى تغطية أنفسهم بشكل متزايد " .

وكان من النتائج التى ترتبت على ذلك هو وضع مجموعة من القواعد الجديدة التى تحدد مسئولية البيت الأبيض ، ففى الماضى كان يتحمل المسئولية الرسمية مجموعة صغيرة من كبار المسئولين فى المخابرات والدفاع والشئون الخارجية وكانت تسمى " بلجنة الأربعين " ويرأسها وزير الخارجية وكان الرؤساء هم الذين يعطون بصفة دائمة تقريباً التصديق المباشر على العمليات السرية

بالخارج ، ولكن أولئك الرؤساء كان بوسعهم دائماً الإفلات من اللوم الشخصى اذا فشلت العملية السرية ، والهدف الرئيسى من ذلك هو تفادى حدوث أى مواجهات عالمية.

وعلى سبيل المثال فعندما كشفت الصحافة الأمريكية فى شهر مارس ١٩٧٥ عن المحاولات الأمريكية لرفع غواصة سوفيتية فى المحيط الباسفيكى (*) لم يصرح الرئيس الأمريكى جيرالد فورد بأى تعليق على هذه المسالة ، وبالتالى لم يعط أى سبب للأتحاد السوفيتى للتصرف على نحو غاضب .

على أن هذا النظام الدقيق الذى قصد به المحافظة على " مناعة الرئيس " قد إهتز عندما وافق الكونجرس فى ديسمبر عام ١٩٧٤ على إجراء يأمر الرئيس نفسه بأن يشهد بأن أى عملية مقترحة تمثل أهمية بالنسبة للأمن القومى للولايات المتحدة وأن يقدم تقاريراً عن المهمة إلى " اللجان المختصة فى الكونجرس ، والآن وقد اصبحت المسئولية من إختصاص الرئيس وحده فإن أى رئيس سوف يفكر مرتين قبل الموافقة على أية عملية سرية خطيرة مهما كان يعتبرها ضرورية.

كما نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية تحقيقاً صحفياً جاء فيه (١) " أن الجدل قد أدى إلى شلل عمليات الوكالة يوماً بعد يوم وإرغام كبار المسئولين بها إلى التقاعد مبكراً ، وكان أبرز هؤلاء " جميس انجلتون " رئيس مكافحة التجسس الذى

(*) اطلق عليها أسم مشروع جننيفر Project Jennifer

(١) مجلة نيوزويك، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١/١٣ - تحقيق بعنوان : (لجنة الشريط الأزرق) .

استقال بعد الربط بينه وبين عمليات الرقابة الداخلية غير المشروعة ، كما استقال أيضاً ثلاثة من كبار مساعديه فى وكالة المخابرات المركزية " .

كما نشرت نفس المجلة مقالاً آخر جاء فيه (*) "يرى البعض أن ما حدث للوكالة خلال عام ١٩٧٥ لا يقل فيما يبدو عن عملية استنزاف شاملة ، فقد إزيح النقاب وتحطمت الروح المعنوية وتعرضت الاتصالات مع وكالات المخابرات الأجنبية للخطر .

" ووفقاً لما ذكره أحد كبار المسئولين فإن المخابرات المركزية لاتكاد تعمل فى الوقت الراهن بثلاثة أرباع سرعتها، وعلى الرغم من أنها لم تجر تقيماً رسميا للخسائر التى منيت بها - كما يحدث بصورة روتنيه عندما يهرب أو يخطىء عميل أو عندما تكتشف عملية سرية - الا أن بعض أولئك الذين دأبوا على مهاجمة الوكالة يشعرون بالقلق خشية أحتمال أن تكون الخسائر ضخمة ولا يمكن أصلاحها .

ثانياً : الاحجام عن التعاون :

أضفى الجانب المتزايد فى علانيته للعمليات السرية التقليدية تغيراً على علاقات الولايات المتحدة مع كل من الأصدقاء والخصوم ، وهناك دلائل على أن ثمة تمنع متزايد من قبل الحلفاء لتقاسم الأسرار مع وكالة المخابرات المركزية ،

(*) مجلة نيوزويك، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٧ (مقال بقلم جيمس.د. جينز، أنطونى مارو، أيفرت كلارك بعنوان : وكالة المخابرات الجريحة) .

وفى هذا الصدد يقول راى كلاين [*] " فى الماضى كان الحلفاء يتبارون مع بعضهم الآخر ليكون لهم علاقات وثيقة مع المخابرات المركزية لأنها تتمتع بالثقة ، أما الآن فإن العلاقة الوثيقة يمكن أن تشكل عبئاً أكثر من أى شىء اخر ، ذلك أن حلفائنا يشعرون بالتأكيد بالقلق والخوف فهم يخشون اذا كان لديهم شيئا حساساً من انكشافه أن هم تقاسموه معنا ، ولذلك فهم يحجمون عن التعاون ، وأنا بصراحة لست ألومهم ، وما من أحد منهم يستطيع أن يفهم إستعدادنا لنشر شىء.

" ونشرت مجلة نيوزويك مقالا جاء فيه [١] " إن فضح نشاط الوكالة علناً أدى الى تقويض علاقاتها مع وكالات المخابرات الأجنبية التى لم تعد متأكدة بشأن ما إذا كانت أسرارها ستكون مصانة فى الولايات الامريكية أم لا " ، ويقول أحد كبار المسئولين فى الوكالة أن اليابانين قد يبعثون إلينا بتقرير حول ما حدث داخل المكتب السياسى الصينى، لكن مالم يقولوا لنا ما اذا كانوا قد حصلوا على هذه المعلومات من عميل لهم داخل المكتب السياسى أومن أحد المتسكعين الذين يقفون على ناصية أى شارع فى بكين فلن يكون لدينا أية وسيلة لمعرفة مدى صحة معلوماتهم " .

(*) نقلته وكالات الانباء فى ١٩٧٥/١/١٤ ، كان وكيلا لمدير المعلومات فى الوكالة ويعمل الآن مديراً لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية التابع لجامعة جورج تاون .

(١) مجلة نيوزويك الامريكية ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٧ ، سبق الأشارة اليه .

كما نشرت صحيفة فينا نشيال تايمز الانجليزية تحقيقاً جاء فيه (*) " أن الروح المعنوية للعاملين فى الوكالة أخذت تتدهور بشكل سريع حيث تفيد مصادر الوكالة فى الخارج أن العملاء السريين لم يعد لديهم الأستعداد للعمل مع الوكالة وذلك خشية الكشف عن شخصياتهم " .

ومن النتائج الجانبية الواضحة للاعلان عن نشاط وكالة المخابرات المركزية عزوف الشركات الأمريكية المتعددة الجنسية عن توفير الغطاء للعملاء الذين تستخدمهم ظاهرياً واستخدامها كذلك كقناة للامداد بالأموال اللازمة لتمويل العمليات السرية (1) .

وعن نفس هذه النتائج تحدثت صحيفة الديلى تلجراف البريطانية فى مقال جاء فيه (2) " أن وليام كولبى " مدير الوكالة قد ندد بالكونجرس الامريكى لكشفه لاعمالها بطريقة مثيرة " لتسلية الشعب " وأنه قد شن هجوماً عنيفاً عليه واعترف لأول مرة بأن بعض أجهزة المخابرات الصديقة تشعر الآن بأنها تخاطر مخاطره كبيرة بتعاونها مع الوكالة " .

(*) صحيفة فينا نشيال تايمز ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٣/١١ (مقال بقلم بول لويس بعنوان : تأثير الحملة الراهنة ضد وكالة المخابرات المركزية) .

(1) توفير الغطاء للعملاء يعنى العمل بهذه الشركات بإعتبارهم موظفين عادين بها لتوفير الأمن اللازم لهم أثناء قيامهم بعملياتهم السرية المطلوبة .

(2) صحيفة الديلى تلجراف ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢٢ ، (مقال بعنوان : وكالة المخابرات المركزية تخسر حلفائها بسبب التحقيقات التى يجريها الكونجرس ، بقلم مراسل الجريدة فى نيويورك رتشارد بستون) .

ثالثاً : كشف أسرار حقيقية للمخابرات وإلحاق الضرر بأعمالها :

شن " وليام كولبى " هجوماً عنيفاً على الكونجرس الأمريكى والصحافة الأمريكية فى خطاب ألقاه فى رابطة البحرية الأمريكية فى نيويورك واختار أن يلقى خطابه فى الوقت الذى كان يعقد فيه الكونجرس جلسات جديدة للتحقيق فى نشاط الوكالة .

وقال " كولبى " فى خطابه (١٠) " هل ستصبح وكالتنا مجرد مسرح ؟ وهل سيسمح بكشفها فى جلسات متتالية لتسلية شعبنا ودهشتهم بدلا من المحافظة عليها وحمايتها لمصلحتنا ؟ ، وذكر أن الضرر قد وقع بطريقة لاتنم عن الشعور بالمسئولية بالكشف عن أسرار حقيقة للمخابرات مما الحق الضرر بأعمالها فى الأجواء العليا وفى أعماق المحيط " .

وتساءل " هل سيجرى فى عام ١٩٨٠ تحقيقاً لمعرفة لماذا حرمت أمريكا عام ١٩٧٥ من قدرتها الكبيرة على القيام بأعمال المخابرات ؟ .

وبطبيعة الحال فإن الأتجاه الى فضح نشاط وكالة المخابرات المركزية لا يقدر بثمن بالنسبة للسوفيت ، ويقول دكتور " البرت هول " مساعد وزير الدفاع لشئون المخابرات أنه قد أصبح من السهل على الكرملين أن يتخذ إجراءات مضادة لحرماننا من المعلومات التى نحتاجها والتى أصبحنا نعول عليها ، ولقد

---

(١٠) نقلته وكالات الأنباء فى ٢٠ / ٥ / ١٩٧٥

رفض دكتور هول أن يذكرمثلا محدداً ، ولكن مصادر عليا ذكرت مثالا معينـا ، ففـى يوم ٢٥ مـايو ١٩٧٥ كشـفت صحيفـة " نيويـورك تـايمز " أن غواصـات أمريكية مجهزة بعتاد الكترونى خاص للتجسس ، وتعمل تحت إسم مستعار هـو" ليستون " ، ظلت ترصد نشاطات الصواريخ السوفيتية لمدة ١٥ عامـاً وأحيانـا فـى داخل المياه الأقليمية السوفيتيه ونتيجة لهذا النشر أوقف الكرملين نشـاط عمليـة " هوليستون " وذلك بزرع بعض الألغام المائية وإقامة أجهزة تشويش وسواتر حـول الأهداف المطلوب رصدها ".

ولقد أغضـب تقرير النيويـورك تـايمز المنشـور عن عمليـة هوليسـتون كـل المسئولين فى المخابرات الأمريكية ، وكان أخف وصـف أطلـق علـى ذلـك التقريـر بأنـه " شرير " وعن هـذا الموضـوع علـق أحـد الدبلوماسـيين السـوفيت بقولـه أن العلاقة بين الصحافة الأمريكية والحكومة الأمريكية تتسم " بـالغموض " كمـا يتنـدر الدكتور كلاين على ذلك أيضاً بقوله " إن منظمة المخابرات الوحيدة المتحـررة مـن أى قيود فـى هذا البلد هـى الصحافة الأمريكية " .

وتتسائل الدوائر الحكومية فى واشنطن بشىء من القلق عما إذا كان كـل مـا يكشـف عنـه الآن فى هذا الشأن من أسـرار ستؤدى الـى تجريـد الوكالـة وأجهزتـهـا السرية من صلاحيتها وشل قدرتها وإلحاق الضرر بأعمالها .

رابعاً : الإنقسام الداخلى بين العاملين :

وفى داخل وكالة المخابرات المركزية نفسها فإن الاتهامات المتكررة والقائلة بأن الوكالة قد راقبت على نحو غير مشروع بعض الأمريكيين فى الداخل وتورطت فى مؤامرات إغتيال وعمليات سرية فى الخارج قد أحدث إنقساماً حادا بين العاملين فى داخل التنظيم ، ونتيجة لذلك كان مدير المخابرات وليام كولبى عند حضوره للإجتماعات الدورية مع العاملين بالوكالة يجد نفسه دائماً معرضا للأسئلة الحائرة من مجموعتين من مرؤسيه ، فبعض الرجال والنساء فى الوكالة ومعظمهم من الشباب العاملين فى أقسام تحليل المعلومات لايقلون غضبا عن كتاب المقالات ورجال الكونجرس إزاء تجاوزات الوكالة ، وعلى النقيض منهم فان العاملين فى قطاع العمليات - ومعظمهم مخضرمين منذ سنوات الحرب الباردة يشعرون بأن الوكالة تتعرض لهجوم ظالم لأنها تنفذ الأوامر الصادرة لها من البيت الابيض ، ويعلق أحد العاملين القدامى بقوله " هل تقصدون أن تقولوا لنا أنكم ستضعوننا فى السجن لأننا ننفذ واجبنا القومى ؟ .

ولقد ظهرت هذه الخلافات كذلك بوضوح شديد بين أفراد المجموعتين عندما تجمع العاملون فى إحدى قاعات العرض بالوكالة فى ربيع عام ١٩٧٥ لمشاهدة حديث سجل فى كندا مع الموظف السابق " فليب آجى " ، والذى ترك الوكالة لكى يؤلف كتابا (*) يفضح فيه وكالة المخابرات المركزية فبعد أن انتهى العرض نشبت مناقشات حامية بين أولئك الذين يشعرون أن بعض اتهامات " آجى " لها أساس قوى ، وبين الذين نددوا به ووصفوه بأنه خائن حقير .

(*) Inside The Company ; C. I. A. Diary .

خامساً : المعاناة الشخصية للقيادات والعاملين بالوكالة :

تولى كولبى رئاسة الوكالة فى مايو ١٩٧٣ أى قبل سنه بالضبط من تفجير المشاكل ، ومنذ بداية عام ١٩٧٥ ، إضطر كولبى أن يمضى معظم ساعات عملة اليومى فى مواجهة الانتقادات الموجهة الى المنظمة ، كما أدلى بشهادته ٣٦ مرة فى عام ١٩٧٥ أمام عدد من لجان الكونجرس .

وكانت الوكالة أيضاً تدافع عن نفسها فى ١٣ قضية بتهمة الحصول على معلومات بطرق غير شرعية ، ونظراً لصدور قانون حرية المعلومات فقد وجدت نفسها مضطرة أيضاً للرد على حوالى (٤٥٠٠) طلبا من أفراد ومنظمات يطالبون بنسخ أى معلومات تكون متواجدة فى ملفات وكالة المخابرات المركزية بشأنهم .

والواقع أن كولبى تعرض لانتقادات سرية على أعلى مستوى من الحكومة لأنه كان يتخذ إسلوباً دفاعيا وتبريريا أكثر من اللازم وكان يبدو أنه قد أصبح من المؤكد أن كولبى سوف يطلب اليه أن يترك منصبه عاجلاً أو أجلا (وهذا ما حدث بالضبط) وهو مصير أعد نفسه على أن يتقبله على نحو فلسفى ويقول أحد كبار المساعدين فى البيت الأبيض أن " كولبى " ورث كل الفضائح المستوردة وأصدر كل مذكرات التصحيح ، لكن ذلك لايعنى أن الرجل قد إستهلك إذ ينبغى السماح له

بالاستمرار حتى نهاية التحقيقات ثم يتقاعد بعد ذلك بطريقة تحفظ له شرفه . (*)

ولقد بدأ البحث فى ذلك الوقت بالفعل – وفى هدوء – عن خليفه لكولبى كمدير للوكالة ، وعلى أية حال فان الشخص الذى وقع عليه الاختيار كان من الضرورى أيضاً أن يواجه استجوابات صعبة اثناء جلسات الاستماع الخاصة بالتصديق على منصبه الجديد ، ومحاولات كبيرة لتقييده والحد من سلطته .

وعندما تم اختيار " جورج بوش " خلفا لكوبى فأنه قد بدأ على الفور فى بذل جهد كبيرلأعادة العلاقات الطيبة بين الكونجرس والوكالة التى فقدت الكثير من سمعتها خلال كشف النقاب عن أخطائها وتجاوزها للقوانين فى بعض الأحيان .

(*) ألف وليام كولبى كتاباً باسم " رجال شرفاء ، سيرتى فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " وقد نشر له عرض وتلخيص بجريدة الأهرام فى الفترة من ١٩٧٨/١١/٣٠ إلى ١٩٧٨/١٢/٣ ويتعرض كولبى فى كتابه لبعض انجازاته وتوصياته ، وأهم هذه الانجازات فى رأيه أنهاء التناقص بين التقليد القديم لمفهوم المخابرات والدستور بايجاد علاقة جديدة بين الوكالة و الكونجرس ، وأن الشعب يجب أن يتفهم حقيقة عمل الوكالة حتى تنمحى من الأذهان صورة " جيمس بوند " ، كما يرى أن يصدر الكونجرس مرسوماً يحدد فيه دور المخابرات والقواعد التى تلتزم بها فينص على المبادىء والنواهى ، ويفرق بين مهام المخابرات الخارجية ومهام الأمن الداخلى ، ويرى كولبى أن المخابرات ليست منكراً بل لها دوراً باعثاً للطمأنينة ومعجلا للتفاهم ، ويطالب بأن تصبح المخابرات مورداً دولياً لبث المعلومات على النطاق الدولى لمعاونة الانسانية على التعرف على المشاكل وحلها بطريق المفاوضات لا بالمعاناه والقتال ، ويختتم سيرته بقوله " إن الحكمة التى إستشهد بها الآن دالاس ونقشها على مدخل مبنى المخابرات تتحقق " ولسوف تعرف الحقيقة وبالحقيقة نتحرر .. نتحرر من الحرب والشقاء والجهالة " .

وكان الكونجرس عقب الحرب الفيتنامية وفضيحة ووترجيت لم يدخل فى نزاعات حادة مع السلطات التنفيذية فى أى مجال مثلما حدث فى هذا المجال ، وكان أعضاء الكونجرس الذين اسندت اليهم فيما مضى مهمة الاشراف على نشاط المخابرات لايريدون معرفة أى شىء عن نشاط هذه الوكالة لأنهم كانوا يعتبرون هذه المهمة صعبة للغاية وتشكل عبئاً ثقيلاً عليهم فى المجال السياسى .

وكان يتعين على جورج بوش أن يمارس مهام منصبه الجديد كمدير للوكالة المركزية من خلال الإشراف التام على كافة أنشطتها وأن يحقق فى الوقت ذاته كافة المهام المنوط بها بكفاءة تامة .

أما بالنسبة لبقية العاملين فلقد شوهت صورة كل منهم الشخصية كذلك فى محيط كل من الأسرة والأصدقاء ، وظهر أحد رجال المخابرات المركزية فى برنامج تليفزيونى وهو يتحدث فى ألم وحسرة ويقول " أن ابنته الوحيدة والتى كانت ترى فيه مثلها الأعلى قد نظرت اليه بإزدراء شديد عندما علمت أنه يعمل فى المخابرات وقالت له لم أكن اتصور أنك تؤدى هذا العمل القذر " وقال الرجل وهذا ما جنيته بعد أن خدمت بلادى عشرون عاماً تعرضت خلالها للموت أكثر من مرة (*) .

وعن نفس هذه النتائج تحدثت مجلة نيوزويك لأمريكية فى مقال جاء فيه [1]

(*) جريدة الأخبار ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٠ (مقال بعنوان : المخابرات بقلم موسى صبرى) .

[1] مجلة نيوزويك ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٧.

" أن هناك إحتمالا قائماً بالنسبة لإقامة الدعوة ضد عدد من ضباط المخابرات الأمريكيين بسبب قضية بريد المواطنين الأمريكيين وأن ذلك قد أدى إلى بث الخوف فى نفوسهم كما أن تحريات الكونجرس أصبحت تجرح إحساسهم التقليدى بسمو رسالتهم واحترامهم لأنفسهم ، ويذكر أحد المسئولين أنهم يشعرون بانهم كانوا يحاولون خدمة بلادهم والآن يحاول بعض الناس شنقهم بسبب ذلك ، وثمة مخاوف أخرى من أن الكونجرس قد يبدأ فى خفض الوظائف والاعتمادات المالية أثناء حماسه لكبح جماح الوكالة " .

وهكذا وبعدإستعراض هذه الآثار السلبية نخلص إلى أن تشويه صورة المخابرات يؤثر بصورة كبيرة للغاية على فاعلية هذه الأجهزة ومعنويات العاملين بها والأحجام عن التعاون معها ، كما تدل على أن مصحلة الدولة العليا لا يمكن أن تتحقق مع تحطيم أجهزة المخابرات ، وأن كل الذين قاموا بالنقد أو بالتشهير ، أجمعوا فى وقت واحد على الرغبة فى أن تستعيد هذه المنظمات مصادرها وروحها المعنوية بل وسريتها إذا أقتضى الأمر ، كما طالبوا فى النهاية باتخاذ عدداً من الإجراءات لتحقيق ذلك وفى هذا تأكيد واضح لمدى أهمية أجهزة المخابرات وحاجة الدول إليها .

موقف الرئاسة الأمريكية تجاه حملات الهجوم على المخابرات الأمركية C. I. A.

على الرغم من ضراوة حملات النقد والهجوم والتشكيك التى تعرضت لها وكالة المخابرات المركزية بالإضافة إلى ما أسفرت عنه لجان التحقيق العديدة التى شكلها الكونجرس الأمريكى لمحاسبتها عن أعمالها وما تناولته الصحف ووكالات الأنباء عن نشاطاتها وأعمالها غير المشروعة ، فإن ذلك لم يمنع البيت الأبيض الأمريكى من الدفاع عنها والتصدى بكل قوة لمحاولات الإجهاز عليها سواء بتقسم أنشطتها أو الكشف عن مصادرها وميزانياتها ، وفى هذا تأكيد لأهمية الدور الذى تقوم به الوكالة لصالح الأمن القومى الأمريكى والمصلحة العليا للدولة .

موقف الرئيس الأمريكى فورد

تسببت التقارير التى نشرتها لجان التحقيق المنبثقة عن مجلس الشيوخ الأمريكى فى تفجير الخلاف بين هذه اللجان وبين الرئيس الأمريكى فورد ، وذلك لأن كشف النقاب عن هذه الوثائق فى هذا الوقت يشكل خطراً حقيقياً على مصادر المخابرات الأمريكية ، وقد علق الرئيس الأمريكى فورد بعد موافقته على نشر جزء من تقرير نائبه روكفلر قائلا " أن الجيل الحاضر لا يمكنه محاكمة أجداده وأنه من الأفضل أن نترك للتاريخ رواية القصة وليس للمعاصرين " وأضاف " أننى لا أريد تحت أى ظروف أن أصدر أحكاماً فى عام ١٩٧٥ على قرارات إتخذها أشخاص شرفاء فى ظل ظروف غير عادية " .

وفى حديث للرئيس الأمريكى فورد أمام رابطة المحاربين القدماء الأمريكية جاء فيه (*) " ان الهجمات العنيفة والمبالغة فى إطلاق الأحكام ضد نشاط مخابراتنا يعرض للخطر الوظائف الحيوية الضرورية لأمننا القومى ، وأنا لا أتغاضى بالتأكيد عن النشاطات الخاطئة أو إنتهاك الحقوق الدستورية للأمريكيين من قبل أى مسئول أو أى وكالة فى الحكومة الفيدرالية وذهب الرئيس فورد إلى التحذير بشدة ضد " أى عمل طائش " موجه ضد نشاط المخابرات وألح على أن الولايات المتحدة تحتاج إلى " قدرة لمخابراتها لاتعادلها قدرة أخرى " .

وقال الرئيس الأمريكى أمام لجان الكونجرس " إننا لا نستطيع تحسين هذه الوكالة عن طريق تدميرها ، وأود أن أطمئنكم أنه لا توجد لدى أية نيه لألغاء أجهزة المخابرات أو شل عملياتها أو تقويضها بصورة مؤثرة ".

وقد صرح المتحدث الصحفى بإسم البيت الأبيض الأمريكى (١) بأن الرئيس فورد لن يعمل شيئاً من شأنه الحد من النشاط الذى تقوم به أجهزة المخابرات الأمريكية فى اطار الدستور والقوانين الحالية .

كما نشرت صحيفة لوموند الفرنسية مقالا جاء فيه (٢) " أن الرئيس فورد أعلن فى مؤتمر صحفى عقده فى مكتبه بالبيت الأبيض أنه سوف يقترح على الكونجرس إجراء تغيرات فى الهيكل الأدارى للمخابرات الأمريكية وهذه التغييرات

(*) نقلته وكالات الأنباء بتاريخ ١٩٧٥/٨/٢٠ .

(١) نقلته وكالات الأنباء فى ١٩٧٥/٨/٨ .

(٢) صحيفة لوموند ، بتاريخ ١٩٧٥/٩/١٨ (مقال بعنوان : الرئيس فورد يدافع عن المخابرات الأمريكية) .

لن تؤثر على النشاط السياسى للمخابرات الأمريكية فى الدول الأخرى إذا ما تعرض أمن أمريكا للخطر ، وهذا يعنى بعبارة أخرى أن فورد يريد تهدئة الكونجرس وأنه لا يريد التعرض لوجود المخابرات الأمريكية نفسها أو الحد من نشاطها .

وكان البيت الأبيض الأمريكى يهدف من كل هذه التصريحات.والأجراءات أن يعيد ثقة الجماهير فى أعمال الوكالة وإنشاء تنظيم فعال من الكونجرس لمراقبتها

موقف الرئيس كارتر :

قام الرئيس كارتر ايضاً بالدفاع عن العمليات السرية التى تقوم بها وكالة المخابرات المركزية واصفا إياها بأنها " جميعها شرعية ونظيفة وضرورية " وقال أن المشكلة الحقيقية تتمثل فى أن أشخاصاً كثيرين يستطيعون على نحو رسمى معرفة ما يتعلق بهذه العمليات .

ونشرت مجلة النيوزويك تحقيقاً صحفياً جاء فيه (*) " أن الرئيس كارتر ذكر أنه يقوم الآن بمراجعة كل العمليات السرية الحالية وانه لم يجد ما هو غير لائق أو غير قانونى بشأنها حتى الآن، وأن ما أثار إهتمامه وقلقه يتمثل فى كيفية المحافظة على سرية هذه العمليات وقال " إن نشر مثل العمليات القانونية من شانه ان يلحق الكثير من الضرر بعلاقاتنا مع الشعوب الأخرى وأمن بلادنا وحتى فى أوقات السلام " .

(*) مجلة نيوزويك ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٧/٣/٧ (تحقيق بعنوان : المخابرات الأمريكية وكيفية التكتم على أسرارها).

وقد حذر كارتر خلال زيارة قام بها إلى وزارة الخارجية بقوله " لقد أصبحنا فى موقف يجعل الآن بعض مصادر المخابرات الرئيسيةتشعر بتردد أزاء التعامل معنا نتيجة لخوفها من كشف أسرارها " .

كما طلب من الكونجرس تنظيم مجلسية بحيث يشكل لجنة مخابرات واحدة ومشتركة يعهد اليها بأدق الأسرار ، وأعلن المتحدث بإسم الكونجرس أن المجلس يتعاطف ويتجاوب مع الفكرة ، وأنه سيحاول خفض عدد لجان المجلس المتعلقة بشئون المخابرات من خمس لجان إلى لجنة واحدة .

وفى مجلس الشيوخ طلب أعضاء لجنة المخابرات من مدير وكالة المخابرات المركزية العمل من أجل صياغة قوانين جديدة تحد من إفشاء ونشر المعلومات المتعلقة بالأمن القومى .

العوامل المؤثرة فى تكوين الصورة الذهنية للمخابرات العامة المصرية

ساهمت بعض الأحداث والعوامل السياسية والثقافية والتاريخية والنفسية فى تشكيل الصورة الذهنية للمخابرات العامة فى أذهان ووجدان الجماهير المصرية وإن اختلفت الأهمية النسبية لكل منها من فترة زمنية الى أخرى ، وأثر بعضها بصورة ايجابية بينما أثر البعض الآخر بصورة سلبية ، ولكنها فى مجملها عكست المتغيرات التى سادت المجتمع المصرى خلال الفترات التى تفاعلت معها وما أحاط بها من إتجاهات ومشاعر وأحاسيس حددت معالم واضحة لصورة المخابرات والعاملين فيها .

ويمكن تقسيم هذه الاحداث والعوامل على النحو التالى :

أولاً : الأحداث السياسية وتتركز فى ثلاث أحداث هامة هى :

١ - هزيمة يونية ١٩٦٧

كانت هزيمة يونية ١٩٦٧ بمثابة الصدمة التى أصابت الوجدان المصرى والعربى فى الصميم ويرجع ذلك الى إعتبارات متعددة كان من أهمها أن الشعب العربى دخل حرب ١٩٦٧ بعد تعبئة نفسية مكثفة تمت خلال فترة قصيرة من الزمن ، وهو واثق ثقة مطلقة من النصر على العدو الإسرائيلى .

وقد اعتمد هذا الشعور على ما ساد البلاد العربية قبل الحرب من التضخيم فى قوة واستعداد الجيوش العربية ، وقدرتها على سحق اسرائيل فى فترة قصيرة ، بالاضافة الى تصوير الإسرائيليين بإعتبارهم تجمعاً لعدد من العصابات اليهودية التى وفدت الى فلسطين من كافة أنحاء العالم ، وهذه العصابات - فى منطق هذا التصوير - لاتكون شعباً منسجماً متكاملا وهى غير قادرة على الدخول مع العرب فى معركة فاصلة .

وعلى هذا فإن جسامة الصدمة التى أصابت الوعى المصرى والعربى ترجع الى عاملين أساسيين هما : (*) .

- تضخيم صورة الذات العربية نتيجة للأوهام التى زرعت فى أذهان الجماهير العربية عن القوة التى لا تقهر .

- المحاولات الدعائية المنظمة التى أسهم فيها عدد من المثقفين العرب والتى حاولت الإقلال من خطر العدو والإسرائيلى والاستهانة بقدراته ورسم صورة مزيفة لحقيقة أوضاعه الإجتماعية والسياسية والعسكرية .

ولقد أدت هزيمة يونية ١٩٦٧ بإعتبارها حدثاً سياسياً هاماً الى ظهور تغيرات أساسية فى الرأى العام المصرى والعديد من الأتجاهات العدوانية لديه بالنسبة للكثير من أجهزة ومؤسسات الدولة وعلى رأسها القوات المسلحة وجهاز المخابرات العامة .

(*) السيد ياسين ، الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراجية بجريدة الاهرام ، ١٩٧٤) .

وأرجع الرأى العام أسباب الهزيمة بالنسبة للمخابرات الى عجزها عن تقديم المعلومات الصحيحة عن قوة واستعدادات العدو والى عدم قيامها بواجباتها وضعفها وانغماسها فى الأنحراف وتفرغها للأعمال الشخصية غير المشروعة وكبت الحريات .

ولقد فجرت هزيمة يونيه ١٩٦٧ كل مشاعر الكراهية المكبوتة فى وجدان الجماهير ضد جهاز المخابرات العامة وأعطت اشارة البدء فى الهجوم والنقد المرير على العديد من مؤسسات الدولة ، كما كانت سببا فى ظهور سيل من النكات السياسية والتى برع فيها الانسان المصرى ليدين ويسخر فيها من كل مظاهر السلطة السياسية والعسكرية وجميع مظاهر القوة فى المجتمع ، وأظهرت الكثير من السمات السلبية فى صورة الانسان والجندى المصرى وأهمها فقدان الثقة بالنفس والشعور بالذل واليأس والأحباط للإحساس بالهزيمة .

٢ - أحـــــداث مــــايو ١٩٧١

كانت مراكزالقوى وخاصة بعد ١٩٦٧ قد وضعت شعب مصر تحت وصايتها الكاملة ، وسيطرت على كل شىء وفرضت أساليبها على كل المواطنين ، وكبتت الحريات ولم يعد المواطن آمنا على نفسه أو ماله أو أهله الى أن قام الرئيس محمد أنور السادات فى مايو ١٩٧١ بتصحيح كل هذه الاوضاع وكان من أهم نتائج هذه الأحداث هى كفالة الحرية والكرامة والأمن للمواطنين وجاء الدستور الدائم عام ١٩٧١ لكى يقيم المؤسسات الديمقراطية ولكى يحقق مشاركة الشعب فى اختيار حكامه عن طريق الانتخاب المباشر ، ثم تتابعت القرارات من أجل

تحرير الانسان المصرى فكان إغلاق المعتقلات وكان تقرير مبدأ سيادة القانون وإعادة القضاه المفصولين وتعزيز هيبة القضاء وإعادة كافة المفصولين بغير الطريق التأديبى وانهاء الإجراءات الاستثنائية ، ووجد الانسان المصرى المؤسسات الديمقراطية التى يحكم من خلالها والتى يستطيع عن طريقها أن يعبر بحرية تامة عن آرائه وان يقدم النقد والمعارضة البناءة .

ولقد استطاعت احداث مايو أن تحقق تحولات سياسية واجتماعية داخلية واسعة النطاق وكانت بداية التغير فى الاتجاه الى الإنسان بالإعتراف له بحقوقه وتأمينه على حريته وعلى يومه وغده ، والحفاظ على كرامته وانسانيته وتحريرا لأرادته من عقم الخوف والتسلط ، واستطاعت احداث مايو تصحيح العديد من مواقف أجهزة الدولة والأتجاهات السائدة حيالها فى نظر المواطنين ، وأوضح الرئيس انور السادات ملامح هذا التصحيح خاصة بالنسبة لأجهزة الأمن فقال " أنا قلت فى وزارة الداخلية ، وفى المخابرات العامة ، وفى القضاء ، إن أنا عايز أمن للجماهير كلها ، ولا زالت أقول ومصر على هذا ، ما فيش تجسس على حياة الناس خلاص انتهى ، وأجهزة الأمن مش لازم تكون أجهزة مطاردة للناس ، الأمن يعنى الطمأنينة ، يعنى سيادة القانون ، والأمن أيضا يعنى حرمات البيوت ، وكرامات الناس ، أنا تكلمت مع وزير الداخليه أيضا فى هذا ، واعتقد أن الشعب حاسس بهذا الآن كمان " . (*)

(*) الرئيس أنور السادات ، من خطاب للأمه فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ .

وبتطبيق نتائج أحداث مايو ١٩٧١على المخابرات العامة نجد أن المخابرات العامة قد وضعت بعد ١٥ مايو موضع التنفيذ من أجل سيادة القانون وحماية أمن المواطن والوطن ومجتمع الحريات ، وأصبحت بعيدة كل البعد عن ما يخص المواطنين فى حياتهم وأسرارهم الخاصة طالما لا يدخل نشاطهم فى نطاق التعامل مع اجهزة المخابرات العميلة والمضادة ، والتزمت كذلك بقانون الحريات الذى يكفل لكل مواطن كافة الحقوق ويحرم القبض على الأفراد إلا بعد الرجوع الى السلطة القضائية وأعلنت مرار أن المواطن آمن ولن يدان بوشاية أو إشاعة مالم تكن هناك حقائق يقرها القانون حفاظاً على أمن وسلامة الدولة .

كما قامت المخابرات العامة بإجراء عدة تعديلات على قانونها الذى كانت تعمل به منذ انشائها (*) لتتواءم مع مقتضيات التطور وبعد أحداث مايو وقد أوضح رئيس المخابرات العامة فى عدة تصريحات له بعض هذه التعديلات وأثرها بالنسبة لعمل المخابرات حيث أشار الى أن آخر هذه التعديلات هى الواردة فى القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧١ والتعديلات الصادرة له فى سبتمبر ١٩٧٦ . [١]

كما اشار أيضاً فى حديث آخر الى " أن المغزى العميق لدلالة ثورة التصحيح وأثرها بالنسبة للمخابرات العامة أنها أصبحت عن إيمان والتزام بتوجيهات قائد ثورة التصحيح ترى أن المساس بسيادة القانون وحماية الحريات

(*) القانون رقم ٣٢٣ والصادر فى يونيه ١٩٥٥

(١) حديث رئيس المخابرات العامة ، بمجلة اكتوبر بتاريخ ١٥ مايو ١٩٧٧ – بعنوان : " بعض الأفراد .. نعم ، أما المخابرات فانها لم تنحرف " .

خيانة قومية وأن الشرعية هى السبيل الوحيد لأمن مصر وأن الولاء للشرعية هو المدخل الوحيد لاستمراها " . (*)

وهكذا كانت أحداث مايو عاملا هاماً من عوامل تغير الصورة الذهنية لجهاز المخابرات العامة فى الاتجاه الايجابى ، ان الجماهير العريضة لابد أنها قد شعرت بالثقة والطمأنينة حين رأت رئيس الدولة يحرق بنفسه أشرطة التسجيل غير القانونية إعلانا منه أنه ليس لاى جهاز أمن الحق فى اقتحام الحياة الشخصية لأى فرد إلا باذن قانونى ولأسباب واضحة ، إن الشعب حين رأى الرئيس السادات وهو يحطم المعتقلات معلناً إغلاقها جميعها إلى غير رجعة ، لابد أن يكون قد شعر بالثقه تجاه الحاكم ونظام الحكم ، واطمأن إلى أن شعار " سيادة القانون " قد أصبح حقيقة تمارس بالفعل ، ومن هنا فلابد أن تتغير النظرة كذلك تجاه المخابرات العامة بوصفها قد أصبحت أداة خيرة فى يد حاكم عادل يرعى الحق والقانون ، وأنه اذا كان لابد للمخابرات العامة أن تتصف بالغموض وعدم الوضوح حفاظاً على أمنها ، فان ما يعطى الإطمئنان تجاه هذا الغموض هو الثقة من أن الشرعية القانونية سوف تكون دائماً أساساً لعملها .

٣ - حرب أكتوبر المجيدة :

" لا يعرف تاريخ مصر على كثرة أحداثه الجسام ، حدثاً جليل المعنى عظيم الشأن ، يتجاوز أثره دائرة الحاضر إلى عمق المستقبل ويتسامى فى رفعته

(*) حديث رئيس المخابرات العامة ، بجريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٧٥/٣/٢٠ بعنوان : " فى ظل ثورة التصحيح وسيادة القانون لا نعتقل احداً "

ليصبح عيد الأعياد ، مثل حرب أكتوبر المجيدة التى صححت مسار التاريخ فى منطقة الشرق الأوسط ، وأعادت للوطن كرامته وكشفت عن أصالة القدرة الوطنية وتوجت تضحيات القوات المسلحة المصرية بعمل جسور ، سيظل موضع فخر الأجيال القادمة إلى يوم الدين " (*) .

ولقد كان للأداء البطولى للقوات المسلحة وما برز للعالم كله من فاعلية الجندى المصرى وجسارته بالاضافة الى التخطيط العلمى والعسكرى الدقيق الذى سبق الحرب أثرا كبيرا فى تغير كبير للصورة الذهنية للشعب المصرى بوجه خاص والعربى بوجه عام ، وللعديد من أجهزة ومؤسسات الدولة ، فلقد أتاحت حرب أكتوبر الفرصه لتكوين إتجاهات جديدة فى الرأى العام المصرى والعربى والعالمى بإعتبارها حدثاً سياسياً وعسكريا ُهاماً فى التاريخ الحديث واضطرت وسائل الاعلام الغربية بوجه عام والامريكية بوجه خاص الى الاعتراف بإيجابيات الشخصية المصرية والعربية بعد أن انطلقت شرارة المعركة واكتسح العبور المصرى العظيم كل ما أقامته التكنولوجيا الاسرائيلية من حصون واستحكامات فى خط بارليف ، وأسر وقتل وفرالآلاف من الجنود الاسرائيلين وانتهت فى ساعات قليلة سمات الهزيمة وعقد الحرب والرعب من الأسطورة التى لاتهزم والذراع الطويلة للسلاح الجوى الاسرائيلى .

---

(١) من حديث السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلى الأمة فى الذكرى الـ ٢٤ لنصر حرب أكتوبر المجيدة (١٩٩٧/١٠/٦) .

وكانت اسرائيل قد عمدت بعد يونيه ١٩٦٧ الى أن تغرس فى وجدان الرأى العام العربى والعالمى صورة الجندى الاسرائيلى الأسطورة وأنه من طراز آخر من البشر جاء لينتصر الى الأبد بل راحت إسرائيل تعلن عن إستعدادها لتعليم الشعوب الأخرى فنون القتال فى الصحراء .

وجاء أكتوبر العظيم فحطم الأسطورة ، وغير الصورة ، وعندما حدث ذلك تغيرت نظرة العالم للمواطن المصرى بل والعربى ، ولقد أوضح الرئيس أنور السادات فى كثير من أحاديثه الى الشعب المصرى والعربى والى مراسلى الصحف والوكالات العالمية معالم التغيير فى الصورة الذهنية فقال " كانت حرب أكتوبر الخالدة هى رد شعب مصر العظيم من خلال أمته العربية المجيدة وبها ، كانت رداً على مستوى مصر تجاوزت آثاره قضيتها المباشرة لتغيير المنطقة وانعكس ذلك على الأوضاع العالمية ذاتها .

" لقد تغيرت الصورة رأساً على عقب وأصبح على كل الأطراف أن تعيد النظر فى سياستها وفقاً للأوضاع الجديدة التى صنعتها دماء الشهداء وتضحيات الأبطال وما سبق ذلك وواكبه وتلاه من تخطيط عسكرى وعمل سياسى ممتاز " (*)

وقال فى حديث آخر " جاءت معركة أكتوبر ومازلت أؤمن أن هناك خطاً فاصلاً بين ما قبل أكتوبر وبعد أكتوبر لأن العالم أصبح يعلم أن العرب قوة سادسة

(*) ورقة أكتوبر

فقد أصبح العالم يصفنا بأننا القوة السادسة تملك القوة العسكرية والتضامن ورأس المال، وأن مستقبل العرب مشرق والاوراق الرابحة فى يد الأمة العربية تتزايد (*)

وعلى الجانب الآخر ، فكما أحدثت حرب أكتوبر ١٩٧٣ تغييراً فى موازين القوى العربية والعالمية وأعادت الثقة والكرامة الى النفوس العربية وفتحت الطريق واسعاً لمزيد من المكاسب العسكرية والسياسية والفكرية أحدثت أثارها أيضاً فى المجتمع الاسرائيلى وأصيب المواطن الاسرائيلى نفسه بالتمزق والإنكسار نتيجة التخلخل الذى أحدثه أكتوبر فى بنية المجتمع وفى قياداته وسياسته .

وعندما يأتى الآن الى الاذهان ذكر حرب أكتوبر فانه يعنى بالنسبة للإسرائيلى " زلزال فى أكتوبر ، حرب عيد الغفران [1] " أو حرب التقصير من قبل القيادات التى قادت الجيش الى الهزيمة والذى ظل طوال سنوات طويلة يحمل نجمة الجيش الذى لايقهر ولايفل " .

ولقد إعترف الكتاب الإسرائليون بذلك وبوضوح كامل فى الدراسات والمقالات والكتب التى صدرت منذ نوفمبر ١٩٧٣ وحتى الآن والتى نشر بعضها فى داخل إسرائيل وبعضها الاخر فى أمريكا وغرب أوروبا .

(*) الرئيس أنور السادات ، من خطابه الى اعضاء اللجنه التحضيرية لمؤتمر كل الشعب العربى بتاريخ ١٩٧٤/٨/٢٥ .

(1) عنوان الدراسة التى أعدها زئيف شيف (اصدار زمواراه بيتان ، مودان) .

ففى كتاب " المواجهة " لوالتر لاكير " يكتب فصلا عن عملية بدر ويقول (*) " إن الذين خططوا وأعدو للهجوم المصرى السورى فى أكتوبر ١٩٧٣ لابد وأنهم كانوا مدركين بعمق شديد مدى ونوعية التغييرات التى طرأت على التفكير الاستراتيجى الإسرائيلى منذ ١٩٦٧، وذلك لأن الهجوم العربى قد استفاد من كل عوامل الضعف القاتلة التى شابت الموقف الإسرائيلى " .

كما يشير إلى نمط سلوكى جديد وإلى صورة لم تطرح أبداً فى التاريخ من قبل وهى صورة الأسيرالإسرائيلى يرفع يديه بالاستسلام أمام المقاتل المهاجم المصرى ، هذه الصورة التى قلبت موازين الصراع العربى الإسرائيلى .

ويدخل إلى القاموس السياسى الإسرائيلى ولأول مرة مصطلحات وألفاظ جديدة مثل " التقصير " وهو عنوان الدراسة التى أجريت غداة هزيمة إسرائيل ،ومثل " الأيام الصعبة والساعات الحالكة القادمة " ومثل " ألوان من العذاب " وكلها تصور الضياع للذات اليهودية بعد حرب أكتوبر .

وبتطبيق نتائج حرب اكتوبر على المخابرات العامة المصرية نجد أن هذه الحرب ونتائجها الإيجابية قد أحدثت تغيراً كبيراً فى صورة المخابرات العامة

(*) نشر بجريدة الجمهورية بالعدد الصادر بتاريخ ١٩٧٧/١٠/١٦ تحقيق صحفى عن أحدث كتاب أمريكى عن الصراع العربى الأسرائيلى بعنوان :

Questiond and Answers About Arabs and Jews “

وخاصة بعد إعلان الدور الهام الذى قامت به قبل الحرب وأثنائها وبعدها " ولقد كانت البداية بالضرورة هى المعرفة الدقيقة لحقيقة إمكانيات العدو وقدراته ،ومراكز قوته ونقاط ضعفه ، ثم شاركت مع باقى الأجهزة المختصة فى دراسات موسعة عن العدو وقدراته الإقتصادية وإمكانياته السياسية ونواياه وإستعداداته وأمدت القيادة السياسية والأجهزة المسئولة فى الدولة بكل ما يهمها فى هذا الشأن " . (*)

وقبل المعارك قامت المخابرات العامة بتقديم صورة بانورامية لخط بارليف كاملاً وقامت أيضاً بنشاط واسع المدى فى ضبط عدة شبكات للجاسوسية [1] قامت اسرائيل بدفعها لمعرفة المعلومات العسكرية عن المنشآت والتجهيزات العسكرية بالضفة الغربية وأهمها القبض على الجاسوسه هبه سليم وفاروق الفقى [2] .

(*) رئيس المخابرات العامة ، المخابرات والحرب ، حديث نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٦/١٠/٤ .

(١) فى حديث رئيس المخابرات العامة نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٥ تصريح لمسئول بالمخابرات العامة نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٥ - أتضح أن عدد القضايا التى قام الجهاز بضبطها فى الفترة بين حرب ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ بلغ عدد ٣٠ قضية تجسس وبلغ عدد المتهمين فيها ٤٣ مصرياً واجنبياً وصدرت ضدهم أحكام قضائية كالتالى: (١٣ أعدام ، ١٦ أشغال شاقه ، ٢٤ بين ٣ ، ١٥ سنة أشغال شاقه) وكان النشاط المعادى الأكبر لحساب اسرائيل والباقى لدول أخرى .

(٢) موضوع قصة فيلم "الصعود إلى الهاوية" والذى أخذت مادته من سجلات الأمن القومى =

كما شارك الجهاز فى وضع خطة الخداع الاستراتيجى للدولة ووضع إمكانياتـه فـى خدمة تنفيذها مع بداية المعركة وشـارك أيضـاً مـع الأجهزة المختصـة فـى وضـع الخطط اللازمـة لحمايـة وتـأمين المنشآت العامـة للدولـة ، كمـا جنـدت المخـابرات العامة أثناء العمليات كل امكانياتها الخاصة لتزويد القيـادة السياسـية والمسئولين بكل ما يهمهم من معلومات ، كما شاركت بأجهزتها المختلفـة فـى متابعـة ودراسـة التطورات وتقديم مقترحات للقيادة السياسية بشـأن مـا يعن مـن قضايـا تدخـل فـى نطاق اختصاصها ، كما ساهمت مع الأجهزة المختصة فى مواجهة الحرب النفسـية التى كانت تشنها إسرائيل والقوى الحليفة لها . (*)

= كما أشير الى ذلك فى مقدمة الفيلم ، وعرضت لـه الصحافـة المصريـة بإعتبـاره واحـدا من أنجح الأفلام المصرية . وقد استمر عرضه لمدة طويلة واعطى صورة طيبة وصادقـة للكثير من المواطنين عن الجهد الشاق الذى يقوم بـه جهـاز المخـابرات العامـة والعـاملين فيه ، وأزال ما علق بأذهانهم من إتجاهات سلبية ومضادة سابقة من تـأثير بعض الافـلام التى ركزت على إنحرافات مراكز القوى السابقة كما حدث فى فيلم الكرنك " .

(*) من حديث رئيس المخابرات العامة " المخابرات والحرب " ، " سبق الاشارة اليه "

ثانياً : صعوبة إدراك مهام وطبيعة عمل أجهزة المخابرات

١ – تعدد أجهزة الأمن وصعوبة التفرقة بينها :

إن الرأى العام والمواطن العادى نادراً ما يستطيع أن يفرق بين أجهزة الأمن العديدة أو أن يحدد إختصاصات ومجالات عمل كل منها وقد يرجع ذلك فى بعض الحالات الى ضعف مستوى التعليم وانتشار الامية فى مصر .

فالكثيرون مثلاً لا يعرفون الفرق بين المخابرات العامة والمخابرات الحربية، أو بين المباحث الجنائية والمباحث العامة، أو بين السجن المدنى والسجن الحربى، أو بين الرقابة الادارية والنيابة الادارية ، وكثيرون أيضاً لايعرفون أن المخابرات العامة تتبع رئيس الجمهورية ، وأن المخابرات الحربية والشرطة العسكرية تتبع القائد العام للقوات المسلحة ، وأن الشرطة ومباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية تتبع وزير الداخلية .

ولكل جهاز من هذه الأجهزة مسئوليات محددة وصلاحيات متعددة تميزه عن باقى الأجهزة الاخرى ، ولكن جهاز المخابرات العامة ولأنه يمثابة الجهاز الأم لكل هذه الأجهزة وأكثرها غموضاً فى اذهان المواطنين فإنه يصب فيه أو ينسب اليه فشل أوتعنت أوانحرف أى من أجهزة الأمن العديدة فى مصر .

٢ - الاجراءات الاستثنائية التى إتخذت إستناداً الى قانون الطوارىء

ساعدت الإجراءات الاستثنائية التى إتخذت إستناداً إلى قانون الطوارىء " رقم ١٦٢ لسنة ١٩٥٨ " والقانون " رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٥ " والقانون " رقم ١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن التدابير الخاصة بأمن الدولة " والقانون " رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦ بإصدار قانون الأحكام العسكرية على تشويه صورة جميع أجهزة الأمن فى مصر وعلى رأسها جهاز المخابرات العامة ، وقد أدى ذلك الى ازدياد تداخل الاختصاصات لأجهزة الأمن المختلفة فى مصر وصعوبة التفرقة بينها .

فلقد تم تكليف بعض هذه الأجهزة ببحث ومتابعة عدد من القضايا لاتدخل فى اختصاص عملها أساساً كما هو الوضع بالنسبة لإسناد قضية الإخوان المسلمين إلى جهاز المباحث الجنائية العسكرية ، وإسناد قضايا تصفية الإقطاع وفرض الحراسات إلى كل من جهازى المخابرات والمباحث العامة ، وما واكب ذلك كله من أحداث فى قريتى كرداسة وكمشيش ، بالإضافة إلى الإجراءات الاستثنائية التى إتخذت فى عمليات الإعتقال والمحاكمة أمام المحاكم الإستثنائية .

ويصعب على أى باحث فى هذه المرحلة أن يجد جهازاً واحداً لم يخرج عن نطاق الاختصاصات الموكولة اليه أساساً فى قانون إنشائه أو أن يحدد إختصاصات كل منها بالضبط، فجميعها مسئولة عن الأمن الخارجي والداخلى فى وقت واحد دون أى تخصص كما تقتضى مصلحة العمل ، وربما يرجع ذلك الى نوع من عدم الثقة فى بعض أو كل هذه الاجهزة فى هذه الفترة من ناحية القيادة السياسية والرغبة فى ضرب بعضها بمعرفة البعض الآخر، وقد أدى هذا التضارب أيضاً إلى

ظهور بعض التنظيمات الخاصة بمراكز القوى والتى أوكلت إليها نفس مهام أجهزة الأمن بصورة مصغرة ، وتنفيذ بعض العمليات الخاصة التى تحقق لرئاستها مآرب معينة دون أى إلتزام بالشرعية القانونية والقيم الأخلاقية .

٣- تناول وسائل الاعلام لمفهوم المخابرات وطبيعة أعمالها

يستقى الجمهور معلوماته من وسائل الاعلام كالصحف والراديو والتلفزيون والسينما والكتب التى يقرأها ، وهو يتعرض لهذه الوسائل يومياً ولمدد طويلة ولذلك فإن ما يحصل عليه من معلومات وآراء ومواقف وما يشاهده من أفلام يؤدى إلى تكوين الجزء الأكبر من الصورة الذهنية عن الموضوع المطروح عليه، ومن هنا تتضح أهمية المضمون الذى يتعرض له الإنسان يومياً من خلال هذه الوسائل، ويعتبر نشاط المخابرات عادة مادة مفضلة لموضوعات السينما والتليفزيون والروايات البوليسية والقصص الخيالية والتحقيقات الصحفية، ويقبل المشاهدون والقراء عليها بشغف شديد ، وهو أمر يعطى إنطباعاً بمدى أهمية هذا النشاط، ولكن وسائل الإعلام فى تناولها لهذا النشاط وبالرغم من كونه نشاطاً خفياً لا يكاد يكون معروفاً تماماً فإنها غالباً ما تقدمه بصورة سيئة ومشوهة ودائماً ما تحيطه بهالة من الخيال العريض الذى تغلب عليه الاعتبارات التجارية وما تقتضيه من إغراق فى مشاهد الجنس والعنف والإثارة والتعذيب ، وربما كانت أوسع الروايات الحديثة رواجاً فى العصر الحالى هى الروايات البوليسية وقصص الجاسوسية والجاسوسية المضادة والتى وصل بها الكاتب " أيان فلمنج " الى قمتها بسلسلة كتبه عن شخصية " جيمس بوند " ضابط المخابرات البريطانى أو العميل رقم ٠٠٧ " والتى أصبحت مجالاً للعديد من الأفلام السينمائية الناجحة وأقبلت عليها الجماهير من كل عمر وجنس .

كما أن معظم الذين كتبوا عن المخابرات - هم غالباً من غير المتخصصين- تعمدوا أن يشوهوا صورتها لإطلاق عنان الخيال لأنفسهم والظهور بمظاهر المعرفة بكافة الأمور وقد يكونون أحياناً حسنى النية وأحياناً متعمدين لهذا التشويه والخلط لغرض فى نفوسهم .

ولقد تنبهت اسرائيل لهذا الميدان وبدأت تغزوه فى محاولة لتشويه صورة الأنسان العربى من خلال العديد من روايات الجاسوسية ، ففى دراسة قامت بها جريدة لوموند الفرنسية للصحفى " إريك رولو " على ثلاث روايات بوليسية حديثة تجرى حوادثها جميعا فى الشرق الاوسط وجد أن أبطالها ينقسمون الى قسمين " الأشرار " وهم العرب ، والطيبون وهم الغربيون عموماً ، ففى رواية " عصابة فى الشرق الاوسط بقلم أوجست لوبرتيون " نجد ان البطل وهو مايك كويلاند (*) يعمل مراسلا لجريدة أمريكية فى بيروت ليكتشف شبكة من مهربى المخدرات العرب ، أما فى الكتاب الثانى وهو " شاهد نفى من ليبيا " بقلم " جوزيت بروس " فنجد أن البطل فيها مراسل أمريكى لوكالة (ى. ب. أ) إسمه بروس ويلسون ووظيفته إنقاذ الملك إدريس من مؤامرة شيوعية ، وفى الكتاب الثالث " الذين شنقوا فى بغداد " والبطل فيها يسمى " مالكو " ويعمل مراسل لصحيفة " كورير " النمساوية وهو صهيونى يحاول إنقاذ زميل له يعمل فى المخابرات الإسرائيلية من العالم الذى يشبه الكابوس فى العراق .

(*) يلاحظ الشبه فى الاسم مع مايلز كوبلاند عميل المخابرات الامريكية والذى كتب كتاب " لعبة الامم " Game of Nation

وصورة الإنسان العربى فى هذه القصص جميعاً هى صورة المنحرف والفاسد ومهرب المخدرات والكذاب والذى يجد لذة فى تعذيب الآخرين (*) .

أما بالنسبة للمواطن المصرى فالملاحظ أن أسواق الكتب وأكشاك الصحف قد أغرقت بالعديد من الكتب التى هاجمت الجهاز وبعض العاملين وأسلوب العمل فيه (1) كما تناولت الصحف والمجلات من خلال العديد من التحقيقات الصحفية والتغطية الإخبارية لبعض القضايا المرفوعة ضد الجهاز وبعض العاملين فيه أمام القضاء المصرى مظاهر سلبية عديدة نسبت إلى المخابرات العامة . (2)

وساعد فى تشكيل الصورة كذلك إقبال القارىء المصرى على قراءة بعض الصحف العربية وخاصة اللبنانية والكويتية والتى كانت تباع بجميع أكشاك الصحف بمصر وما نشر فيها من تحقيقات تناولت الجهاز وسلوك العاملين فيه(3).

(*) جريدة الاهرام ، بتاريخ ٢٠ /٨/ ١٩٧٠ ، صورة الانسان العربى فى قصص الجاسوسية الحديثة (تحقيق نقلا عن دراسة لجريدة لوموند الفرنسية) .

(1) اشهرها " سنة أولى سجن ، سنه ثانيه سجن ، سنه ثالثه سجن " لمصطفى أمين " فى ساحة الطغيان " لكمال خالد المحامى .

(2) اشهرها القضايا المرفوعة من مصطفى امين والسيدة فاتن حمامه والسيدة اعتماد خورشيد ضد صلاح نصر الرئيس السابق للمخابرات العامة .

(3) اشهرها ما نشر بملحق جريدة السياسه الكويتية (هى) لمدة ١٧ حلقة طوال الفترة من ٢٣ / ١ / ١٩٧٦ وحتى ١٤ / ٥ / ١٩٧٦ تحت عنوان " إعترافات زوجة لرجلين ، كان يمكن أن تحكم مصر أيام عبد الناصر " وتناولت قضية السيدة إعتماد خورشيد ضد صلاح نصر والتى عرفت بقضية إنحراف المخابرات

أما بالنسبة للأفلام السينمائية فقد ظهر عدد من الأفلام التى تدخل فى إطار الأفلام السياسية واعتمدت فى موضوعها تماماً على أساليب مراكز القوى والأجهزة المؤيدة لها وما كان يحدث فى هذه الفترات من إعتقالات وتعذيب وأرهاب وهتك للأعراض وكبت للحريات (*) .

(*) أشهر فيلم " الكرنك " قصة نجيب محفوظ وتصوير الصحافة المصرية للفيلم بأعتباره يمثل فترة من تاريخ المخابرات العامة وساعد على ذلك ما اثارته دعوى صلاح نصر ضد الفيلم وطلبه ايقاف العرض ، الأمر الذى ربط فى أذهان الجماهير والرأى العام بين أحداث الفيلم وما يحتويه من أرهاب وفساد وبين جهاز المخابرات العامة ممثلا فى شخص صلاح نصر كما يظهر فى شخصية " خالد صفوان " فى الفيلم .كما أن مضمون الرسالة الاعلانية للفيلم قد تطورت منذ الأسبوع الأول للعرض من التلميح بداية إلى الاشارة صراحة على أنه " قصة دولة المخابرات التى أدانها القضاء وذلك بعد أن قضت محكمة جنايات القاهرة فى ٢٦ يونيه ١٩٧٦ بمعاقبة صلاح نصر بالأشغال الشاقة لمدة عشرة سنوات فى قضية مصطفى أمين ، بالأضافة إلى عدد من الأفلام الأخرى مثل " أسياد وعبيد ، وراء الشمس ، طائر الليل الحزين ، زائر الفجر ، إمرأة من زجاج " .

ثالثاً : عوامل تاريخية ونفسية

١ - التطور التاريخى لوظيفة المخابرات بالمجتمع المصرى :

ساعدت الظروف السياسية التى مر بها المجتمع المصرى وخضوعه للإحتلال الأجنبى لفترات طويلة على الربط ذهنياً بين وظيفة المخابرات وسلطات الاحتلال ، وإستخدامها للوظيفة لتحقيق أغراضها فى تدعيم سلطتها ، وإحكام قبضتها على البلاد ، ومحاربة الحركات الوطنية ، ثم تطور إستخدام الوظيفة بنفس صورتها الرهيبة من خدمة الاحتلال الأجنبى إلى خدمة القصر بمعرفة جهاز " البوليس السياسى " والذى استمر فى ممارسة نفس أساليب أجهزة الاحتلال حتى قامت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ واتضح لها أهمية إنشاء جهاز متخصص للمخابرات وذلك للمحافظة على الثورة والكيان السياسى للدولة وحمايتها من المؤامرات فى الداخل والخارج ، ولذلك يمكن القول بأن المخابرات العامة بوضعها الحالى قد ورثت تاريخياً فى أذهان الجماهير كل مساوىء وكآبة وإرهاب جهاز البوليس السياسى وأجهزة الاحتلال الأجنبى والتى قامت بعملها لفترات طويلة جعلت من الصعب التخلص من أثارها وصورتها الذهنية الموروثة كما ظهرت فى العديد من الأفلام السينمائية القديمة .

٢- : العــوامل النفسيــة

هناك بعض الأسماء التى لا يستريح الانسان نفسياً لها أو لسماع إسمها مثل " الضرائب ، والطبيب الشرعى ، والحانوتى والمبـاحث ، والمخـابرات " وهـى وأن كانت جميعها خدمات ضرورية للإنسان ولكن أن يكـون ضرورياً شـىء وأن يكـون محبوباً فهذا شىء آخر .

والمخابرات بطبيعتها عمل غامض ومجهول ، والإنسان بغريزته يخـاف مـن المجهول دائماً ، وحينما تكون القوة متخفية فى سـتار مـن السـرية فإننـا عـادة مـا نميـل إلـى النظـر إليها بشـىء مـن المهابـة ، وأجهـزة المخـابرات هـى قـوة خفيـة للشخص الخـارجى والـذى يكـون مستعداً للإعتقـاد بـأن غموضـها لا يخفـى ورائـه الأسرار الوطنية والعسكرية فقط بل الخـداع والرذيلـة أيضـاً ، وقديمـاً قـال الأمـام محمد عبده " إذا خفـت الحقـائق .. سـادت الأوهـام " وذلـك أن غيـاب الحقـائق فـى موضوع ما هو الذى يطلـق المجـال للخيـال فيمـا يقـال أو يشـاهد أو يضـاف مـن معلومات تبدو وكأنها حقائق .

ويتسم عمل المخابرات بثلاث صفـات بـارزة تلعب دوراً أساسـياً فـى تشـكيل الصورة الذهنية لها من الناحية النفسية وهى :

* السلطـــة
* الغمــوض
* التهــديــد

فإذا كان بعض الناس لا يستطيعون التفرقة بين أجهزة الأمن المختلفة وأدوارها المتباينة فى المحافظة على أمن الوطن والمواطن ، إلا أن الفرد عادة سوف يدرك - على أقل تقدير - أن المخابرات العامة هى جهاز يعمل فى خدمة السلطة الحاكمة ، وهى إحدى أياديه لتأمين الحكم والحاكم ، ومن هنا فلابد أن الصورة الذهنية لها سوف تتأثر بمشاعره وإتجاهاته النفسية تجاه الحاكم.وتجاه نظام الحكم والسلطة التى تحكم البلاد ، واذا كان المواطن فى مصر قد نظر إلى نظام الحكم فى فترة ما قبل نكسة يونيو ١٩٦٧ ، على أنه لا يقيم وزناً كبيراً للشرعية القانونية بل إن أسرع الوسائل للتأمين كانت بالنسبة له وضع الأفراد فى المعتقلات بلا محاكمات ، فإن الصورة الذهنية للمخابرات العامة سوف تتشكل على أنها وسيلة تهديد وقمع ، وينشأ عن هذا الإتجاه النفسى الذى تم تدعيمه من قبل السلطة لسنوات طويلة إرتباط شرطى Conditioning ، (مثير واستجابة) بين إسم المخابرات وما يثيره من إحساس بالخوف ، وهكذا إذا ذكر اسم المخابرات كانت الاستجابة الطبيعية هى " الخوف والرهبة " .

على أن استجابة الخوف هذه ، كانت تستند إلى ميكانيزم دفاعى (*) نفسى مارسه كل من الحاكم والمحكوم وهو التبرير Justification ، سواء على مستوى الشعور أو على مستوى اللا شعور، فإذا كان لا بد أن يوجد جهاز للمخابرات ، وإذا كان لا بد أن يمارس نشاطه بالقمع والأرهاب ،فإن ذلك من أجل مصلحة عامة هى تأمين الوطن ، ومن هنا فلا بد أن نرتضى فى نفوسنا على مضض هذه

(*) يستخدم إصطلاح ميكانزم Mechanisms فى مجال علم النفس تعبيراً عن نوع التركيب النفسى الذى يؤدى إلى إحداث ردود فعل سريعة وتلقائية للدفاع عن الذات.

الصورة البغيضة لها ، وهو نوع التبرير الذى قام بـه الجمهور تجاه تصرفات أجهزة المخابرات فى ذلك الوقت .

ثم جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧ فحطمت هذا المبرر النفسى ، حيث سقط الأمن واحتلت البلاد وأصبح الإحباط هو الشعور السائد بين المواطنين ، ومن ثم أدى هذا الإحباط إلى توليد الشعور العدائى ضد جهاز المخابرات الذى لم يستطع أن يحقق الأهداف المبررة لوجوده فى تقدير المواطن ، وتحققت بذلك القاعدة النفسية الخاصة بأن الإحباط يولد العدوان.

فاذا كانت الصورة الذهنية للمخابرات فيما قبل ٥ يونيو هى أقرب الى صورة الأم التى تمارس سلطتها بعنف وبقسوة ، وظلم أحياناً ، مضطرة الى ذلك الأسلوب من أجل صالح أسرتها ، فإنها أصبحت بعد يونيو أقرب الى صورة " أمنا الغولة " كما فى قصص " الفولكلور " المصرى ، ومن ثم فالعدوان عليها حلال وواجب .

ولقد كان من نتيجة إستمرار نفس السلطة الحاكمة فى الحكم بعد ٥ يونيو إستمرار إستخدام ميكانيزم " التبرير " بأسلوب مختلف ، فبعد أن كان قبل هزيمة يونيو وسيلة لتبرير تحمل الشعور بالخوف من المخابرات ووسيلة لمقاومة العدوان تجاهها ، أصبح نفس الميكانيزم بعد النكسة وسيلة لاسقاط مزيد من الكراهية والعدوانية على صورة المخابرات العامة ، كما كان من الضرورى – مع وجود نفس السلطة – وعدم القدرة على توجيه الطاقة العدوانية المتفجرة اليها بحكم سلطاتها القائمة فعلا أن تـزاح Displacement الطاقة العدوانية لدى

الجماهير إلى بدائل أخرى ، وكانت المخابرات العامة أحد هذه البدائل ، وعلى ذلك فقد كانت الصورة الذهنية لجهاز المخابرات مهيأة لأن تصاغ على أساس مزيد من الكراهية والعدوانية سواء بطريق مباشر بحكم مسئوليتها المباشرة عن النكسة ولو بشكل جزئى " حسب تصور المواطن لها فى ذلك الوقت " ، أو بطريق غير مباشر على أساس أنها بديل للحاكم المسئول ، ولقد كانت إنحرافات بعض أفراد المخابرات العامة فىهذه الفترة مبرراً مطلوباً لهذا الإسقاط. Projection.

أن ما يزيد الصورة الذهنية للمخابرات العامة كآبة وكراهية ، خاصة فى مثل ذلك الجو العام الذى ساد بتأثير بعض سلبيات نظام الحكم فى مصر بعد هزيمة ٦٧ مباشرة هاتان الصفتان اللتان تميزان طبيعة عمل المخابرات وهما صفة الغموض وصفة التهديد ، فالغموض يسهل عملية "الإسقاط" التى تتمثل فى إسقاط مشاعر الكراهية والعدوانية المختزنه ، فى وجدان وعقل الجماهير ، وكما هو معروف فى بعض الاختبارات الاسقاطية فى علم النفس ، فانه كلما زادت محتويات الاختبار غموضاً ساعدت على مزيد من اسقاط المشاعر المكبوته ، ومن هنا فان الجهل السائد عن طبيعة عمل المخابرات ، وأهدافها ، وأساليب عملها ، كل ذلك الغموض إنما يهيىء الأذهان والنفوس لعمليات إسقاط غزيرة لنسج خيوط هذه الصورة الذهنية الكئيبة للمخابرات العامة .

أما الصفة الثالثة التى تتسم بها طبيعة عمل المخابرات فى تلك الآونة - قبل هزيمة يونيو وبعدها حتى مايو ١٩٧١ - وهى التهديد والتى تنسحب بالنسبة للفرد على تهديد الذات ، فان وسائل الاعلام وفى مقدمتها الافلام السينمائية قد تكفلت بايضاحها بشكل مثير ومخيف ، فوضح للعامة من الناس أن فى وسع

أجهزة المخابرات أن تتجسس على الفرد بدون علمه - بوسائل فنية مختلفة وان تقتحم عالمه الشخصى ، بل واكثر من ذلك ، فهى تقوم بعمليات تزييف دقيقة يصعب كشفها ومن ثم تستطيع أن تزيف الحقائق ، وتلصق التهم ، وتضلل العدالة

فماذا يكون الاتجاه النفسى للفرد إزاء هذا الغموض والذى يسمى بالمخابرات ويستطيع أن يهدده فى ذاته وبدون علمه ، لابد أن يكون إذن إتجاها عدوانيا .

وهكذا فإن المخابرات العامة بقدرتها على تهديد الذات ، وبطبيعتها الغامضة وبإنحيازها الى سلطة لاتقيم إعتباراً لسيادة القانون ، لابد أن تكون صورتها الذهنية فى عقول أفراد الشعب عامة - فى فترة ما قبل هزيمة يونيو وما بعدها حتى مايو ١٩٧١ - هى صورة غاشمة مخيفة ولكن الصورة بعد أحداث مايو ١٩٧١ وانتصار أكتوبر ومبادرة السلام قد إختلفت تماماً عن ذلك بفعل العديد من العوامل والمتغيرات الايجابية على نحو ما تم توضيحة فى مجموعة النقاط السابقة.



مراحل الصورة الذهنية لجهاز المخابرات العامة

تنقسم المراحل التى مرت بها الصورة الذهنية لجهاز المخابرات العامة خلال الفترة من يونيه ١١٩٦٧ وحتى نهاية ديسمبر ١٩٧٧ - من خلال حصر وتحليل مضمون كل ما نشر عن الجهاز فى الصحف المصرية الصباحية - الى ثلاث مراحل هى :

* المرحلة الأولى: وتقع فى الفترة من يونيه ١٩٦٧ حتى ١٤ / ٥ /١٩٧١ .

* المرحلة الثانية : وتقع فى الفترة من ١٥/٥/ ١٩٧١ حتى ٥ /١٠ / ١٩٧٣ .

* المرحلة الثالثة : وتقع فى الفترة من ٦ /١٠/١٩٧٣ حتى ٣١ /١٢/١٩٧٧.

ولقد إستخدم هذا التقسيم باعتبار أن كل مرحلة من هذه المراحل تتميز بعدة خصائص محددة ساعدت على رسم صورة واضحة مميزة لها فى أذهان الجماهير المصرية كما كانت الأحداث التاريخية والسياسية الهامة التى عاصرت كل فترة عاملا من العوامل الرئيسية المؤثرة فى صورتها بداية لمرحلة أو نهاية لأخرى .

وبادىء ذى بدء فأنه من الضرورى وقبل التعرض بالتحليل للمراحل الثلاث الموضحة أن نتعرض للفترة السابقة على هذه المراحل وهى الفترة من ١٩٥٤ وحتى يونيه ١٩٦٧ بإعتبارها فترة هامة فى ملامح الصورة الذهنية للمخابرات

العامة حيث تركز عليها كل الهجوم والنقد الذى وجه الى الجهاز فى المراحل الثلاث التالية ،ويمكن تسمية هذه المرحلة بإسم " مرحلة الكراهية المكبوته " .

ولقد عرفت هذه الفترة فيما بعد بما أصطلح على تسميته " مخابرات صلاح نصر " ، وإنصب الهجوم على المخابرات العامة فى هذه الفترة على ثلاث شخصيات رئيسية تولت مناصب قيادية بها وهم صلاح نصر وحسن عليش ويسرى الجزار ، وأرتبطت بدرجة كبيرة إساءة وتشويه صورة المخابرات العامة فى أذهان الجماهير بما نشر عن شخصية صلاح نصر ومساعديه وسلوك الجهاز حيال المواطنين طوال هذه الفترة .

وتتميز هذه الفترة السابقة على هزيمة يونيه ١٩٦٧ بالخصائص الآتية :

١ - الكراهية المكبوته لجهاز المخابرات العامة فى وجدان الجماهير .
٢ - عدم وضوح الرؤية المتبادلة بين الجماهير والجهاز .
٣ - الخوف اللانهائي من ذكر كلمة المخابرات فقد كان ذكرها فى أى مجتمع من المجتمعات كفيلاً بأن يخرس الألسن فجأة ويشيع فى النفوس الرهبة والخوف والكراهية .
٤ - عدم وجود أى هجوم علنى أو مستتر على الجهاز وعدم تعرضه للنقد من كافة وسائل الإعلام ، وقد يرجع ذلك الى الأسباب الآتية :

* السلطه الهائله لأجهزة المخابرات والخوف من إنتقادها سواء من العاملين فى مجال الاعلام أو المسئولين فى أجهزة الدولة المختلفة أو بالنسبة للمواطن العادى .

* الرقابة المفروضه على وسائل الإعلام وبخاصة فيما يتعلق بعدم التعرض لمثل هذه الاجهزة .

* طبيعة عمل هذه الأجهزة وما يكتنفها من غموض وما يحيط بها من سرية يجعل التعرض لها عملا غير منطقى .

ومن الجدير بالذكر أن جهاز المخابرات العامة قد بذل جهوداً إيجابية ملموسة فى هذه المرحلة ، فلقد نبه قبل العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ بأن إنجلترا وفرنسا ستهاجمان مصر ، وأن إسرائيل سوف تنتهز الفرصه للإعتداء على سيناء كما حدث بالفعل ، وفى عدوان ١٩٦٧ كانت المخابرات العامة هى صاحبة الأنذار المبكر والذى بلغ الذروة فى الدقة حيث حددت توقيت وحجم الهجوم الإسرائيلى وكانت منذ منتصف مايو ١٩٦٧ تنبه لمواطن الخطر الذى أكدته الأحداث بعد ذلك.(*)

هذا بالإضافة إلى كشف العديد من القضايا الهامة والخاصة بالأمن القومى ، وكذلك ضبط العديد من شبكات التجسس الإسرائيلية والأجنبية والتى تمثل فى

(*) من حديث رئيس المخابرات العامة ، بعنوان " المخابرات العامة .... لماذا ؟ " نشر بجريدة الاخبار بتاريخ ١٢ / ٧ / ١٩٧٦ . وكما وضح أيضاً ما قامت به المخابرات العامة كما جاء فى المسلسل التلفزيونى الشهير " رأفت الهجان " والمأخوذ قصته الحقيقية من سجلات المخابرات العامة عن عملية حقيقية لبطل مصرى هو " رفعت الجمال " ونجاحه فى الوصول إلى تحديد ميعاد العدوان الأسرائيلى فى يونيه ١٩٦٧ .

مجموعها جهوداً إيجابية فيمجال مقاومة التجسس ضد أجهزة مخابرات أجنبية على أعلى مستوى من الكفاءة والخبرة . (*)

واستمر الوضع على هذا المنوال إلى أن تفاقمت الأمور بهزيمة يونيه ١٩٦٧ والتى فجرت ضمن ما فجرت كل مشاعر الكراهية المكبوتة فى صدور الجماهير ضد العديد من الأجهزة وعلى رأسها جهاز المخابرات العامة والقوات المسلحة .

وهكذا نلخص إلى القول بأن هذه الفترة (السابقة على نكسة يونيه ١٩٦٧) لم تحظ بالجهود الإعلاميه الموضوعية اللازمة لتقديم جهاز المخابرات إلى الجماهير فى صورته المتميزة والتى تؤكد على جهوده التى قام بها فى مجال الأمن القومى ، على الرغم من شدة حاجة الجهاز من الناحية الفعلية والعملية

(*) من أشهر هذه القضايا :

* قضية البعثه الفرنسية عام ١٩٦١ ، وكانت تمثل شبكة للجاسوسية فى مصر تعمل فى خدمة فرنسا ، وتوزع المنشورات وتمون العمليات السرية وتمد إسرائيل بالمعلومات العسكرية للهجوم على مصر وكانت جميعها من رجال السفارة الفرنسية بالقاهرة .
* قضية الجاسوس الأسرائيلى " ولفجانج لوتز " فى عام ١٩٦٤ والذى كان يعمل بمصر كأحد رجال الاعمال الألمان وخبيراً فى تربية الخيول العربية واشترى مزرعة لتربية الخيول بالهرم وتعرف بكبار رجال الدولة والمسئولين وكان مكلفاً بمحاربة الخبراء الالمان فى ذلك الوقت .
* قضايا اخرى لعدد كبير من العملاء الخطرين الذين عملوا فى خدمة المخابرات الاسرائيلية أمثال الجاسوس " جان ليون توماس " والعميل أحمد على أفندى .

إلـى مثـل هـذه الجهـود والمسـاندات الإعلاميـة نظـراً لمـا كـان يعتمـل فـى نفـوس المواطنيـن مـن كراهيـة ومشـاعر سـلبية مكبوتـه تجاهـه مسـتمدة مـن معلومـات وانطباعات بعضها خاطئ أو مضلل فى معظم الحالات .

أما الفترة التى أعقبت يونيه ١٩٦٧ ، فقد تميزت بوجود مجموعة كبيرة من العوامل والمتغيرات والمؤثرات التى ساهمت فى تكوين وتغيير الصورة الذهنية لجهاز المخابرات المصرية على مدى سنوات طويلة ، كما تميزت بوجود أحداث هامة خلالها يمكن على أساسها تقسيم الفترة إلى مجموعة من المراحل تتميز كل مرحلة منها بخصائص وإتجاهات معينة تختلف إختلافاً واضحاً عن المراحل الأخرى.

الصورة الذهنية للمخابرات العامة خلال المرحلة الأولى

(الفترة من يونيه ١٩٦٧ حتى ١٤ مايو ١٩٧١)

يطلق على هذه المرحلة اسم " مرحلة الهجوم وتشويه الصورة " ، وتبدأ من يونيه ١٩٦٧ بإعتبار أن هزيمة يونية ١٩٦٧ كانت حدثاً هاماً لها أثر كبيرً فى تشكيل ملامح صورة المخابرات العامة فى هذه المرحلة، ولم تكن هناك موضوعات منشورة عن المخابرات بالصحف المصرية إلا إعتباراً من نوفمبر ١٩٦٨، ويمكن إرجاع ذلك للإعتبارات التالية:

١- أن أول هجوم علنى على المخابرات العامة كان من القيادة السياسية وذلك فى نهاية نوفمبر ١٩٦٨ بخطاب ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب وأتهم فى جهاز المخابرات العامة بالأنحراف.

٢- الخصائص التى تميزت بها الفترة السابقة لهذا التاريخ من حيث عدم وجود أى هجوم علنى على الجهاز.

٣- أن جهاز المخابرات العامة قام فى أعقاب هجوم الرئيس جمال عبد الناصر وخلال شهر ديسمبر فقط بحملة إعلامية ضخمة للدفاع عن نفسه وتوضيح أهميته بالكشف مرة واحدة عن قضايا هامة للتجسس وقام بالسيطرة الإعلامية الكاملة على الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية وجميع وسائل الإعلام طوال شهر ديسمبر بالكامل واحتلت القضايا المعلنة العناوين

الرئيسية للصحف الثلاث، وكانت تكرارات النشر ومساحاته بالصحف الثلاث تفوق بدرجة كبيرة تكرارات ومساحات سنوات كاملة (*).

كما قام الجهاز كذلك بحملة ضخمة لتوعية الجماهير بقواعد ومتطلبات الأمن مع شرح لأساليب المخابرات المعادية في طرق تجنيد المواطنين بالخارج وخاصة المواطنين الذين لهم إتصالات بالهيئات الخارجية، بالإضافة إلى تعهده بحماية أى مواطن يكون قد تورط فعلاً فى علاقات مشبوهة فى الخارج.

(*) هذه القضايا هى :

- قضية منير محمدعبد الغنى عيسى، وكان يعمل مصوراً صحفياً وتم القبض عليه وهو في طريقه للخارج لتسليم أفلام وتقارير عن الأوضاع العسكرية والسياسية.
- قضية على محمود على مرسى وكان يعمل مديراً تحرير بوكالة أنباء أمريكية واستغل عمله الصحفى فى إعداد تقارير عن الأسرار العسكرية والسياسية والاقتصادية.
- قضية انطونيو كاناليس.وهو أسبانى الجنسية وكان يعمل قبطاناً بحرياً ويجمع المعلومات العسكرية لحساب المخابرات الاسرائيلية.
- قضية محمد أمين سوكه، وكان يعمل وزيراً مفوضاً سابقاً وعلى إتصال بمستشار أحد السفارات الأجنبية بالقاهرة.

ويوضح الجدول التالى بيان الحملة الاعلامية المكثفة للمخابرات العامة خــلال شهر ديسمبر ١٩٦٧ بالصحف المصرية

تاريخ النشر	الجريدة	مضمون المواد الأعلامية المنشورة	الشكل الصحفى	نــوع العنوان	موقع النشر	المساحة بالصفحة
١٢/٤	الأهرام	حديث مسؤل من المخابرات العامة	مقال افتتاحى	مانشيت أحمر	الصفحة الأولى	١/٢
	الأخبار	" " " " "	" "	كبيــــر	" "	١/٤
١٢/٦	الأهرام	الجاسوسيةالأسرائيليةوالبحرية المصرية	مقال افتتاحى	مانشيت	الصفحةا لأولى	١/٤
	الجمهورية	تحقيق خطير عن الجاسوسية الاسرائيلية	" "	مانشيت أحمر	الأولى والثالثة	١
		حرب الجاسوسية الأسرائيلية	تحقيق صحفى	كبيـــــر	الصفحة الثالثة	١/٢
١٢/٧	الأهرام	التحقيقات تكشف أساليب الجاسوسية الأسرائيلية	مقال افتتاحى	مانشيت	الصفحةا لأولى	١/٤
	الأخبار	الكشف عن قضايا التجسس	" "	مانشيت أحمر	" "	١/٢
	الجمهورية	الملفات السرية المخابرات اسرائيلية المال والجنس والتهديد لتوريط الأسرى المصرين	تحقيق صحفى	كبــــير	" الثـالثة	١
١٢/٨	الأخبار	قضايا التجسس	مقال افتتاحى	مانشيت أحمر	الصفحةا لأولى	١/٢
١٢/٩	الأهرام	تفاصيل ٣ قضايا تجسس لحساب إسرائيل وأربعة لحساب دو لة أجنبية	مقال افتتاحى	مانشيت	الأولى والثالثة	١/٤
	الأخبار	قضايا الجاسوسية	" "	مانشيت أحمر	" "	١/٢
	الجمهورية	المخابرات تكشف أسرار الجواسيس	" "	" "	" "	١/٤
		توعية أمن للمواطنين من المخابرات العامة	بيان صحفى	كبيـــــر	الأولــــى	١/٤

تاريخ النشر	الجريدة	مضمون المواد الأعلامية المنشورة	الشكل الصحفى	نوع العنوان	موقع النشر	المساحة بالصفحة
١٢/١٥	أخبار	المخابرات العامة	تحقيق صحفى	كبير	الثالثة	١
		توعية للأمن	عمود يومي	متوسط	داخلى	٤/١
١٢/١٦	الجمهورية	التجسس ظاهرة اجرامية	تحقيق صحفى	كبير	الثالثة	٤/٣
١٢/١٧	الأهرام	الفدائيون فى سيناء والجوسيس	تحقيق صحفى	كبير	الثالثة	١
١٢/١٨	الأهرام	الفدائيون فى سيناء والجوسيس	تحقيق صحفى	كبير	الثالثة	١
	الأخبار	توعية للأمن	عمود يومى	صغير	داخلى	٨/١
١٢/١٩	الجمهورية	قرار الأتهام فى قضية الوزير المفوض السابق	خبر	متوسط	الأولى والثالثة	٤/١
١٢/٢٣	الأخبار	المخابرات المصرية وقضايا التجسس	تحقيق صحفى	كبير	داخلى	١
١٢/٢٤	الأهرام	محاكمة الوزير المفوض المتهم بالتخابر	خبر	صغير	الأولى والثالثة	٨/١
١٢/٢٥	الأهرام	النيابة تطلب محاكمة سوكة	خبر	صغير	›› ››	٨/١
١٢/٢٦	الأهرام	محاكمة سوكة فى جلسات سرية	خبر	صغير	›› ››	١
١٢/٢٧	الأهرام	٨ تقدموا للمخابرات يعلنون تورطهم مع المخابرات الأسرائيلية والأجنبية	خبر	صغير	الأولى	٨/١

ونخلص من الجدول السابق أن المخابرات العامة كانت هى الموضوع الرئيسى الذى ركزت عليه الصحف اليومية خلال شهر ديسمبر ١٩٦٧ ، وأنها إنفردت بالموقع الممتاز للنشر بالصحف وإستخدم فى إبرازها العناوين الرئيسية بالصفحات الأولى ، واستخدمت المقال الافتتاحى والتحقيق الصحفى والخبر والعمود الأمر الذى جعلها موضع إنتباه واهتمام الرأى العام خلال هذه الفترة ، ويؤكد ذلك ما قصد اليه جهاز المخابرات العامة من محاولة مقصودة لاصلاح صورته الذهنية فى أعقاب هجوم الرئيس جمال عبد الناصر عليه واتهامه بالانحراف .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن ما قام به الجهاز من إعلام مكثف خلال شهر ديسمبر قد دفع الرئيس جمال عبد الناصر إلى أن يعلن بنفسه فى خطاب له فى إحدى جلسات المؤتمر القومى للإتحاد الاشتراكى عن إعطاء مهلة لمدة شهر لكل من تورط فى علاقته مع اسرائيل أو أى بلد اخر وأضطر للعمل ضد بلده تحت ضغط ظروف قاهرة مع أجهزة المخابرات المعادية لتسليم نفسه دون إتخاذ أى إجراءات ضده، وقد دفعه إلى ذلك ضخامة القضايا المعلنة خلال هذه الفترة وأهميتها وما أحدثه هذا الكم الهائل من النشر الإعلامى الإيجابى والتوعية بالأمن بطريقة مكثفة من جذب لإنتباه المواطنين وإثارة إهتمام الرأى العام بهذه القضايا الخطيرة خاصة فى الظروف الاستثنائية التى كانت تمر بها البلاد فى هذه الفترة.

خصائص المرحلة الأولى :

تميزت هذه المرحلة بالخصائص التالية :

١- ظهور الشعور العدوانى والكراهية المكبوته ضد جهاز المخابرات العامة والتى كانت متنفساً للكبت والقهر لدى المواطنين ضده فى المرحلة السابقة.

٢- بداية الهجوم وتشويه الصورة خاصة من السلطة السياسية.

٣- إتهام المخابرات العامة بسوء التقدير والفشل فى تأدية واجباتها ومسئولياتها عن الهزيمة وذلك لعدم توفيرها المعلومات الصحيحة عن قوة العدو وإستعداداته العسكرية وحجم القوات الاسرائيلية.

٤- إتجاه السلطة السياسية إلى تجريم جهاز المخابرات العامة، وهو أول هجوم علنى على جهاز المخابرات، وقد بدأ هذا الهجوم بخطاب ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب فى نوفمبر ١٩٦٨ واتهم فيه جهاز المخابرات بالانحراف. (*)

(*) تحدث الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بمجلس الشعب عن إنحراف جهاز المخابرات العامة وجاء فى خطابه عنها النص التالى " باللغة العامية ".

" حصل أننى اكتشفت إنحراف فى المخابرات ، وحينما اكتشفت ماسبتهاش ، اللى أشتركوا فى هذه الإنحرافات إعتقلوا وتعرضوا للتحقيق وهايروحوا للمحكمة ، وهايروحوا لمحكمة الثورة ، فيه ناس طبعاً بيقولوا لوم هذه الإنحرافات على النظام ، أنا بدى أقول إن الإنحرافات بتحصل كثير فى كثير من أجزاء العالم ، المهم إن إحنا نلحق نفسنا ونبتر هذه الإنحرافات، وهى إنحرافات أكثرها رخيصة ومش ده المجال إنى أتكلم فيه ، حصل أيضاً فى كثير من أجزاء =

٥- قيام السلطة السياسية بإجراء ما سمى بحركات التطهير للعاملين بجهاز المخابرات العامة من القيادات (*) والعاملين.

= العالم أمثلة متشابهة ، برضه جاءت لى خطابات تقول إزاى أنت ماكنتش تعرف ، وإزاى الريس ماكنش يعرف باللى جارى بهذه الإنحرافات ، أنا باقول النهاردة فرصة إنى أرد على هذه التساؤلات ، هل المفروض فى الإنحرافات اللى بتحصل فى البلد إنى أعرفها ، ماكنتش ناقص إنى أعمل مخابرات على المخابرات، وأعمل مخابرات على جهاز رقابة المخابرات، وهكذا لا ننتهى ".

" يمكن أقول اللى حصل كان نتيجة الاتجاه نحو مراكز القوى والإتجاه إلى خلق مجموعة تستطيع فى المستقبل أن تحكم ونسيت نفسها فإنحرفت ولم تصل إلى هدفها وهو الحكم ووجدت أنه سهل الإنحراف فإنحرفت ، كنت أشفق على البلد، أنا بقول لكم بصراحة كنت أرى بعض مظاهر الإنحراف قبل ٥ يونيه ولكنى لم أتصور أن يصل إلى هذا الحد ، حاولت بكل ما استطيع ، نجحت أحياناً ولم أرى الحقيقة كلها فى أحيان أخرى ، كنت فعلاً أشفق على البلد من تكتلات القوى ومراكز القوى وكان حديثى دائماً ايام إنتخابات الرئاسة وعندكم هنا مرة جيت قلت لكم هل نعمل حزباً أم حزبين أولاً سنة ١٩٦٨ ، ووضعت لكم مجموعة من الأسئلة وكان حديثى عن الديمقراطية المزيد من الديمقراطية ده كان السبيل الوحيد إن أحنا نقضى على الإنحرافات ، أنا من تجربتى الماضية الناس بتخاف من إثارة أى شيء فى مجلس الأمة أو فى الصحف ولكن بعد كده مايهمهاش إن الشخص ينحرف والناس تتهامس مايهمش طالما الموضوع لم يفتح فى مجلس الأمة أو لم ينشر فى الجرائد ، ولهذا اتكلمت معاكم هنا على أساس إحنا فى حاجة إلى مجتمع مفتوح ، ولكن طبّعاً بتوع المخابرات كانت وسائل الإخفاء مباحة لبتوع المخابرات اللى وجدت واللى تغلبت واللى إنحرفت، أنا أعتبر إن هذه الدولة سقطت ، نعم سقطت دولة المخابرات وأن هذا السقوط مسألة فى منتهى الأهمية وأنا أعتبرها من أهم الجوانب السلبية اللى تخلصنا منها فى سبيل تطهير الحياة العامة فى مصر ".

(*) خطاب الرئيس فى حلوان بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٨

٦- إطلاق تسميات ومصطلحات سلبية ومخيفة على جهاز المخابرات والعاملين فيه وذلك مثل ' زوار الفجر ' مراكز القوى '.

٧- تقديم قيادات المخابرات العامة للمحاكمة أمام "محمكمة الشعب " والتحقيق معهم فيما أصطلح على تسميته " قضية إنحراف المخابرات " وقد حكمت محكمة الشعب على صلاح نصر بالسجن ١٥ سنه مع الشغل. (*)

(*) كانت هذه المحاكمات سرية ولم تتعرض لها الصحف المصرية وجاء فى نص الحكم ما يلى " ثبت للمحكمة أن المسئول الأول عن هذا الإنحراف هو المتهم صلاح نصر رئيس المخابرات السابق الذى كان يعد بحكم وضعه وسلطاته المسئول الأول عن كل عمل تدخل فيه جهاز المخابرات بوسائل غير مشروعة كما أنه مسئول عن إستغلال وظيفته وسلطاته لأغراض شخصية غير مشروعة مما انعكس أثره على سمعة الجهاز وأضر بالأمن القومى للدولة وهو ما يعتبر خروجاً عن المبادىء التى قامت عليها الثورة ، فقد تخلى رئيس المخابرات العامة السابق عن أداء واجبه فى المحافظة على الأمن القومى للدولة وانصرف إلى العمل على تحقيق أطماعه ، وشهواته الخاصة واستغل فى ذلك إمكانيات جهاز المخابرات وطبيعة عمله السرى فى فرض سيطرته على أشخاص معينين لمآرب خاصة لا تمت للصالح العام ، وإلى إنشاء علاقات شخصية بينه وبين المشير عامر مكنت له من فرض سيطرته عليه ، وقد ظهر للمحكمة هذا الإرتباط واضحاً من العلاقات الشخصية التى كانت قائمة بينهما مما مكن للمتهم الإستناد إلى مركز القوى الذى كان يمثله المشير عامر والإعتماد عليه وإخفاء الحقائق عن المسئولين وقد كشفت التحقيقات فى قضية المؤامرة التى نظرتها المحكمة عن إنحياز المتهم إلى فريق المتآمرين بسبب مصلحتهما المشتركة فى أن يعود المشير للسلطة ويبقى صلاح نصر فى منصبه وتبقى أسرار حياتهما الخاصة فى طى الكتمان ، ومن المؤسف أن =

ويستدل من تحليل مضمون خطاب الرئيس جمال عبد الناصر أن أكثر السمات السلبية تكراراً هى سمة "الإنحراف" فقد ذكرت بمعدل ١٥ مرة أما كلمة المخابرات ووصفها تارة بأنها مراكز القوى وتارة بأنها دولة داخل الدولة فقد ذكرت جميعها بمعدل ١٢ مرة، كما جاءت الإشارة إلى عمليات التحقيق والمحاكمة والإعتقال والتطهير بالنسبة للعاملين بالمخابرات بمعدل ٥ مرات ، هذا بخلاف باقى السمات السلبية الواردة بالخطاب.

ويلاحظ أنه بالرغم من الأثار الكبيرة التى أحدثتها هزيمة يونيه ١٩٦٧ وما فجرته من مشاعر الكراهية والنقد ضد العديد من مؤسسات الدولة أن الهجوم على جهاز المخابرات العامة قد اقتصر على السلطة السياسية فقط وتمثل ذلك فى خطابين للرئيس جمال عبد الناصر.

الأول : كان بمجلس الشعب فى نوفمبر ١٩٦٨ والذى إتهم فيه الجهاز بالإنحراف على نحو ما سبق ذكره.

الثانى : كان فى خطاب بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٩ فى حلوان وذكر فيه أنه قام بتطهير الجهاز وأن ٣٠٠ فرداً من المخابرات فى عهدها القديم قد خرجوا منها وأن هناك عدة تغييرات وتصحيحات فى كل ناحية.

= تصرفات صلاح نصر الشخصية والإنحراف فى سلوكه قد أدت إلى إساءة سمعة المخابرات العامة فى نظر الشعب بينما الواقع أن جهاز المخابرات وجد ليحمى الشعب من أعدائه فى الداخل والخارج".

والعجيب أنه لم يوجد- على عكس ما كان متوقعاً- أى هجوم من وسائل الإعلام على جهاز المخابرات بخلاف هجوم القيادة السياسية ، وقد يرجع ذلك إلى العوامل التالية :

١- إدراك الرأى العام بأبعاد الهجوم على الجهاز من جانب القيادة السياسية بإعتباره كبش الفداء لهزيمة يونيه ١٩٦٧.

٢- إعتراف السطة السياسية بإجراء التطهير اللازم بالجهاز من ثم لم يعد هناك مجالاً أو مبرراً للهجوم عليه.

٣- عدم رغبة القيادة السياسية فى ذلك الوقت فى إستمرار الهجوم على الجهاز والتشهير به بواسطة وسائل الإعلام لأن ذلك قد يعنى الهجوم عليها بالتبعية لمسئولياتها الكاملة عنه خلال هذه الفترة ، إلى جانب ظهور الحاجة الشديدة لجهوده وإمكانياته بالكامل فى أعقاب هزيمة يونيو بناء على الأوضاع السياسية والعسكرية المترتبة عليها.

٤- ظهور مراكز القوى فى أعقاب يونيه ١٩٦٧ واستخدامها لنفس وسائل الكبت والإعتقال والتعذيب ومحاولاتها للسيطرة على الجهاز- على نحو ما ظهر فيما بعد فى مؤامرة مايو ١٩٧١- وعدم تعريضه للنقد أو التشويه لتأمين أساليبها.

٥- الآثار الايجابية الناتجة عن الحملة الاعلامية الضخمة والتى قام بها الجهاز طوال شهر ديسمبر ١٩٦٧ ووضح فيها جهوده الكثيرة فى الحفاظ على أمن الوطن ومدى الحاجة إلى حمايته وتدعيمه للصالح العام للبلاد .

الصورة الذهنية للمخابرات العامة خلال المرحلة الثانية

(الفترة من ١٥ مايو ١٩٧١ حتى ٥ أكتوبر ١٩٧٣)

ويطلق على هذه المرحلة إسم " مرحلة بناء الثقة " وتبدأ إعتباراً من مايو ١٩٧١ حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولقد كانت أحداث مايو من العوامل الأساسية التى أثرت فى الصورة الذهنية للمخابرات العامة ، ولكن ما أتاحته أحداث مايو من مناخ الحريات خاصة حرية الرأى والصحافة أدى إلى بداية هجوم أجهزة الإعلام والكتاب على المخابرات العامة ، ولكن هذا الهجوم إقتصر على الفترة السابقة على ثورة مايو بإعتبارها وضعت هذه الأجهزة فى المجال السليم لحماية أمن الوطن والمواطن وطهرت كل أجهزة الأمن من الوسائل غير المشروعة والتى كانت هى السمات الرئيسية والمميزة لها من قبل.

خصائص المرحلة الثانية

تميزت هذه المرحلة بالخصائص التالية :

١- تعرض الجهاز لنكسة ثانية تمثلت فى إنحراف رئاسته العليا فى مؤامرة أحداث ١٥ مايو وتضامنها مع مراكز القوى وما إستتبع ذلك من إعادة تذكير الراى العام بإنحرافات رئيس المخابرات السابق صلاح نصر الأمر الذى أدى إلى المزيد من تشويه للصورة.

٢- الهجوم على مكاتب الأمن بالمصالح الحكومية والمؤسسات والشركات وإعتبار طبيعة عملها بمثابة إنتهاك لسيادة القانون وإعتداء على حرية المواطنين.

٣- ظهور إصطلاحات أخرى جديدة تعنى جهاز المخابرات العامة من أهمها إصطلاح " مراكز القوى " حيث كان يقصد به فى كثير من المجالات الإنحرافات السابقة للمخابرات العامة وهو ما ظهر بوضوح فى كثير من الأفلام السياسية التى عرضت فى المرحلة الثالثة.

٤- بداية الجهود الإعلامية الجادة لإعادة الثقة فيه وإصلاح صورته الذهنية وكان على قمة هذه الجهود زيارة الرئيس محمد أنور السادات للجهاز فى ١٩٧١/٦/١٦ (بعد شهر كامل من ثورة التصحيح) وما تشير اليه دلالة هذه الزيارة ، وتوضيح الرئيس لرسالة الأمن بإعتبارها طمأنينة وأمان للجماهير وليست قيداً على الحريات.

كما إتخذ جهاز المخابرات العامة شعاراً جديداً له وهو الآية القرآنية "بسم الله الرحمن الرحيم " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبواقوماً بجهالةً فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. " صدق الله العظيم "[*] مما يدل على مدى الإلتزام بتوخى العدل والصدق ومبادىء الحريات ، وإتجاه الجهاز إتجاهاً إيجابياً فى ممارسة إختصاصاته ومسئولياته [١].

(*) سورة الحجرات الأية ٦١ .

[١] تم الإعلان عن إستخدام الجهاز للآية القرآنية كشعار بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧١/٦/١٧بالصفة الأولى.

الصورة الذهنية للمخابرات العامة خلال المرحلة الثالثة

(الفترة من ٦ اكتوبر ١٩٧٣ حتى ديسمبر ١٩٧٧)

ويطلق على هذه المرحلة إسم " مرحلة تصفية الحسابات وتكوين الصورة الجديدة " وتبدأ إعتباراً من حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحتى نهاية ديسمبر ١٩٧٧ ولقد كانت حرب أكتوبر من الأحداث الأساسية التى اثرت فى الصورة الذهنية للمخابرات العامة وخاصة بعد الإعلان عن الدور الهام الذى قامت به قبل وأثناء العمليات والتى وما قدمته من دراسات موسعة عن العدو وأمكانياته ، والمشاركة فى خطة الخداع الاستراتيجى ، وتصوير خط بارليف ، ووضع الخطط اللازمة لحماية وتأمين المنشآت العامة للدولة ، وضبط الشبكات المعادية التى ركزت نشاطها على المجال العسكرى ، ثم مواجهة الحرب النفسية التى شنتها اسرائيل والقوى الحليفة لها.

خصائص المرحلة الثالثة

تميزت هذه المرحلة بالخصائص التالية :

١ – نظر العديد من قضايا التعذيب أمام المحاكم المصرية والتى ارتبط الكثير منها بانحرافات القيادات فى مرحلة ما قبل حرب ١٩٦٧ وذلك فى محاولة لتصفية الحسابات القديمة (*) .

(*) اشهرها قضية تعذيب مصطفى أمين ، ولقد وصلت جملة القضايا المقدمة إلى النيابة خلال هذه المرحلة إلى ٣٠٠ بلاغ كان ما نسب إلى المخابرات العامة منها ١٣ بلاغا منها ٧ المتهمون فيها بقضايا تجسس ، ٣ قضايا نشاط هدام ، ثم قضية تزوير اذونات الاستراد وقضية عز الدين عبد القادر وقضية اغتيال الوزير السورى طعمة العودة الله " من حديث رئيس المخابرات العامة لأعضاء المجلس الاعلى للصحافة والمنشور بجريدة الاخبار بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٩ .

٢- نظر العديد من القضايا الخاصة المرفوعة ضد صلاح نصر من شخصيات أدبية وفنية (*) والقضايا التى رفعها هو ضد شخصيات فنية وصحفية [١] وذلك فى محاولة للدفاع عن نفسه ولعدم تأثير إتهامات هذه الشخصيات على موقفه فى باقى القضايا المرفوعة ضده.

٣- ظهور العديد من الأفلام السياسية والتى تعرضت لأساليب مراكز القوى وتصوير الصحافة المصرية لبعضها بإعتبارها تمثل فترة من تاريخ الجهاز [٢].

٤- وضوح الجهود الاعلامية المخططة للصورة الجديدة المشرفة للمخابرات العامة وأبرز هذه الجهود هى :

- دعوة الجهاز لقطاعات كبيرة من العاملين فى مجالات الاعلام وبعض الشخصيات العامة لزيارة الجهاز والاطلاع على الجهد الذى يقوم به فى خدمة أمن الوطن والمواطن . [٣]

(*) أشهرها القضية المرفوعة من السيدة إعتماد خورشيد ضد صلاح نصر تطالبه فيها بتعويض مادى قدرة خمسون ألف جنيه مصرى .

[١] اشهرها القضايا المرفوعة من صلاح نصر ضد السيدة / فاتن حمامة ومنتج فيلم الكرنك ودار الهلال وأنيس منصور .

[٢] اشهرها فيلم الكرنك .

[٣] زيارة أعضاء مجلس الشعب للجهاز فى ١٩٧٦/٢/١٥ ، زيارة أعضاء المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين فى ١٩٧٦/٢/١٨

- إهتمام الجهاز بالاحتفال بمناسبات قومية من خلال مهرجانات رياضية سنوية يدعى اليها ممثلون لمختلف قطاعات الرأى العام لمشاركة العاملين فى احتفالهم وذلك لبناء الثقة المتبادلة بين الجهاز والمواطنين .
- الاهتمام بالاعلان عن استخدام الجهاز للوسائل الفنية الحديثة والالكترونية ومساهماته فى تطوير البحث العلمى فى مصر .
- الاهتمام بنشر موضوعات عديدة للنشاط الايجابى فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية من خلال تحقيقات صحفية مسلسلة توضح مدى كفاءة الجهاز والجهد الذى يبذله (*).

(*) اشهر هذه التحقيقات المسلسلة هى :

- تحقيق مسلسل بجريدة الجمهورية فى ١٣ حلقة بعنوان "عيون مصر داخل اسرائيل" وذلك فى الاعداد اعتبار من ١٩٧٥/١٠/٣٠ وحتى ١٩٧٥/١١/٢١.
- تحقيق مسلسل بجريدة الاهرام فى ٢٢ حلقة بعنوان " عملاء فى القاهرة " وذلك فى الاعداد اعتبارا من ١٩٧٥/٣/٣ وحتى ١٩٧٥/٨/٦ .
- تحقيق مسلسل بمجلة أخر ساعة فى ١٥ حلقة بعنوان "كنت صديقا لديان" وذلك فى الاعداد اعتبارا من ٧٦/٨/١١ وحتى ١٩٧٦/١١/١٧
- تحقيق مسلسل بمجلة أخر ساعة فى ١٣ حلقة بعنوان "غواصة مصرية وراء جاسوس اسرائيلي" وذلك فى الاعداد اعتبارا من ١٩٧٧/١٠/١٢ وحتى ١٩٧٧/١٢/٣١.
- تحقيق مسلسل فى مجلة المصور فى ١٦ حلقة بعنوان "رحلة الموت" وذلك فى الاعداد إعتباراً من ١٩٧٧/٥/٢٢ وحتى ١٩٧٧/٨/١٨.
- تحقيق مسلسل بمجلة أكتوبر فى ٣ حلقات بعنوان "حديث مع مسئول" وذلك فى الاعداد عتبارا من ١٩٧٧/٥/١٥ وحتى ١٩٧٧/٥/٢٩

- ظهور العديد من الكتب المنشورة والتى تتحدث عن النشاطات الايجابية للمخابرات العامة والاشادة بها وبكفاءتها فى متابعة شبكات الجاسوسية وضبطها ودورها الهام لحماية الوطن (*).

- الاتجاه الى تصوير افلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية وإذاعية توضح الجهود الايجابية المبذولة فى توعية الجماهير بالأمن وحماية الوطن (1).

والخلاصة أن أهم نتائج تحليل مضمون المواد الاعلامية المنشورة بالصحف المصرية عن المخابرات المصرية وما إنطوت عليها من إتجاهات إيجابية وسلبية هى :

- إن جهاز المخابرات العامة تعرض لحملات هجوم كثيرة ولمدة طويلة إستمرت حوالى تسع سنوات كاملة اعتباراً من نوفمبر ١٩٦٨ حتى منتصف عام ١٩٧٧ .

(*) اشهر هذه الكتب المنشورة هى :

جواسيس وخونة ، قصتى مع الجاسوس ، حرب بلا قتال ، عملاء فى القاهرة ، المفاجأة ، كنت صديقا لديان ، حوار الثعالب

(1) أشهرها فيلم " الصعود الى الهاوية " .

٢- مرت الصورة الذهنية لجهاز المخابرات العامة بثلاث مراحل تميزت كل مرحلة منها بخصائص وإتجاهات معينة تختلف اختلافا واضحا عن المراحل الاخرى وساهمت مجموعة كبيرة من الأحداث السياسية والعوامل والمتغيرات والمؤثرات فى تكوين وتغيير الصورة خلال كل مرحلة .

٣- تركز الهجوم على جهاز المخابرات العامة بالصحف المصرية على إنحراف قياداته فى الفترة السابقة لنكسة يونيه ١٩٦٧ .

٤- لم يوجه لجهاز المخابرات العامة عن أعمالة اعتبارا من مايو ١٩٧١ أى هجوم أو نقد بعد أن التزم تماما بالشرعية وسيادة القانون ومناخ الحريات .

٥- تناولت الصحف المصرية موضوعات المخابرات العامة بطرق متباينة طبقا لأتجاهات كل جريدة تجاه الجهاز وكانت صحيفة الأخبار (*) هى أكثر الصحف هجوما على الجهاز فى كل من المرحلة الثانية والثالثة سواء فى عدد تكرارات النشر السلبى وطرق إبرازها وعرضها من خلال العناوين الكبيرة والمواقع الممتازة والاشكال الصحفية وكذلك من ناحية تخصيص مساحات أكثر وأن هذا الاتجاه قد ظهر واضحا بالجريدة اعتبارا من يونية ١٩٧٤ وحتى منتصف عام ١٩٧٧ ووصلت نسبة النشر السلبى بالجريدة إلى ١٠٠٪ خلال عام ١٩٧٤ ، ٩١,٦٪ عام ١٩٧٥ ، ٤٥,٣٪ عام ١٩٧٧ ،

(*) رئيس تحرير الجريدة فى ذلك الوقت هو مصطفى أمين ..

وكانت إجمالى النسبة خلال المرحلة الثالثة بالكامل بجريدة الأخبار هى ٧٢,١٪ ثم الجمهورية فى المرتبة الثانية بنسبة ١٦,٤٪ ثم الأهرام فى المرتبة الثالثة بنسبة ١١,٥٪ .

٦- يعتبر عام ١٩٧٥ هو أكثر الأعوام تركيزا على الموضوعات الأيجابية المنشورة عن المخابرات العامة سواء بالنسبة لكل جريدة على حده أو بالنسبة لاجمالى تكرارات النشر خلال المرحلة الثالثة بالكامل ، كما كان عام ١٩٧٥ هو بداية الجهود الاعلامية الجادة لتحسين الصورة الذهنية لجهاز المخابرات العامة .

٧- كانت أهم الموضوعات التى ركزت عليها الصحف بالنسبة للمواد الاعلامية الإيجابية فى المرحلة الأولى هى كشف شبكات الجاسوسية ومتابعة محاكماتها بنسبة ٤٤,٣٪ ثم نشاط وجهود المخابرات فى مقاومة الجاسوسية وضبط الشبكات بنسبة ٢١,٤٪ ثم توعية للجماهير بأساليب الأمن بنسبة ١٧,٢٪ ، ثم ١٧,١ ٪ لموضوعات اخرى .

وفى المرحلة الثانية كانت النسبة لنفس الموضوعات ٥١,٢٪ ، ٢٣,٢٪ ، ١١٪ ، ثم ٤,٦ لموضوعات اخرى وفى المرحلة الثالثة كانت النسبة ٣٢,٢٪ ، ٢١,٣٪ ، ٦,٤٪ ثم ٤٠,١ ٪ لموضوعات أخرى .

٨- كانت أهم الموضوعات التى ركزت عليها الصحف بالنسبة للمواد الاعلامية السلبية فى المرحلة الثانية هى مؤامرة ١٥ مايو ودور رئيس المخابرات السابق والمحاكمات بنسبة ٩٥,٢٪ ثم الهجوم على مكاتب الأمن بالشركات والمصالح الحكومية بنسبة ٤,٨٪.

٩- وفى المرحلة الثالثة كانت النسبة ٣٨,٣٪ لقضية تعذيب مصطفى أمين ومحاكمة صلاح نصر ومساعديه ، ٢٣,٤٪ لأساليب كبت الحريات والاعتقالات وزوار الفجر ومراكز القوى ، ٢٢,٩٪ لقضايا التعذيب أمام المحاكم المصرية ، ٦,٥٪ لقضية فيلم الكرنك وربط الفيلم بشخصية صلاح نصر، ٩,٤ ٪ لموضوعات أخرى .

تحليل لفيلم الكرنك وما أثير حوله من إرتباط بجهاز المخابرات العامة

أثار فيلم الكرنك جدلا سياسياً حاداً بين عدد كبير من المشاهدين ويعتبر أول فيلم مصرى يثير مثل هذا الجدل السياسى .

ولقد أقبلت الجماهير بشكل منقطع النظير على مشاهدة الفيلم ، الأمر الذى يؤكد تعطشها لمعرفة خفايا الفترة التى يصورها الفيلم وما تركته من أثار على حياة الوطن .

قصة فيلم الكرنك

" الكرنك " هو إسم ذلك المقهى الصغير والمكان الهادىء الآمن الذى تملكه " قرنفلة " وهى راقصة شرقية متقاعدة ، ويتردد عليه نوعيات مختلفة من الناس بينهم طلبة الجامعة مثل زينب وإسماعيل وحلمى وبعض الموظفين الكبار الحاليين أو المحالين إلى المعاش وبعض الفنانين وشخصيات أخرى لا هوية لها ، هذا المكان الهادىء يتخلى عنه الهدوء وتحل به الكارثة عندما يعرف بعض رواده طريقهم إلى "خالد صفوان".

وخالد صفوان شخصية غريبة لا تتردد على الكرنك مرة واحدة طوال الفيلم لكن شبحها يلقى ظلاله القاسية على المكان بكل ما فيه، والسيناريو لا يخطىء مرة واحدة فيذكر لنا حقيقة هذا الشخص أو وظيفته ، وإن كنا نراه غالبا فى مكتبه الفاخر أو فى فيلته الفارهه وهو يحكم مصر من عالمه السرى بواسطة مجموعة من الزبانية القساه يطلقهم فى مهام شريرة لأصطياد الأبرياء وتوجيه التهم إليهم ومحاولة إلصاقها بهم بكل الطرق.

وتتفجر أحداث "الكرنك" عندما يعرف رجال خالد صفوان طريقهم إلى الشقتين المتجاورتين المتهالكتين اللتين يسكنهما كل من إسماعيل وزينب ويساق الأثنان ومعهما الصديق الثالث حلمى وقد غطيت وجوههم بأغطية سوداء لكى يجدوا أنفسهم فى النهاية أمام خالد صفوان ، ومنذ تلك اللحظة التى واجه فيها أبطال فيلم الكرنك عينى هذا الرجل الذى يملك مفاتيح العذاب كان قد قدر على كل منهم أن يمر بأبشع تجربة يمكن أن يمر بها أنسان.

ويبدأ فيلم الكرنك من حيث تنتهى الأحداث ، يبدأ بحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ حيث يقوم الطبيب إسماعيل وهو يجرى نحو أسوار القصر العينى يريد الدخول ليشارك فى إسعاف جرحى المعارك ، ويرجو الحراس أن يسمحوا له بالدخول ولكن ثيابه البالية وأعصابه المهدمة لا تدل على ذلك وتلمحه من خلف الأسوار زميلته الدكتورة زينب صادق، تجرى نحوه وتطلب منه الإنتظار قليلا حتى تحصل له على تصريح بالدخول .

وفى فترة الانتظار يستعرض الفيلم من خلال إسترجاع الأحداث (الفلاش باك) كل ما حدث للطبيب الشاب ، بل كل ما حدث لمصر كلها قبل أكتوبر ١٩٧٣.

تناول الصحافة المصرية لقضية الفيلم

تبدأ القصة عندما قام صلاح نصر "رئيس المخابرات العامة السابق" برفع دعوى إلى محكمة الأمور المستعجلة ضد كل من نجيب محفوظ مؤلف قصة فيلم الكرنك وممدوح الليثى منتج الفيلم وكان يطلب فى دعواه التالى :

١- أثبات حالة فيلم الكرنك لمعرفة حقيقة الدور الذى يمثله الممثل :كمال الشناوى".

٢- وقف عرض الفيلم حتى لا يؤثر على القضاء أثناء نظر الدعاوى المرفوعة ضده فى بعض قضايا التعذيب.

ومن هنا بدأت الصحافة المصرية فى تناول القضية وأصبحت مجالا للعديد من التحقيقات الصحفية التى تنشر يومياً فى جميع الصحف والمجلات المصرية كما كانت مجالا كبيرا لرسوم الكاريكاتير[*]

---

[*] كاريكاتير بعنوان " قضية الموسم " بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٦/١/٦ للرسام صلاح جاهين .

وفى ١٩٧٥/١٢/١٠ نشرت جميع الصحف اليومية أن صلاح نصر طالب منتج الفيلم بتعويض قيمته مائة ألف جنيه مصرى وأنه قد أرسل إنذاراً إليه على يد محضر ، وأن هذه الدعوى هى ثالث دعوى يرفعها صلاح نصر ضد الفنانين ، وكانت الأولى ضد السيدة فاتن حمامة والثانية ضد السيدة سعاد حسنى وأخيراً ضد المنتج ممدوح الليثى .

وفى ١١٩٧٦/٥ نشرت جميع الصحف اليومية تفصيلات ما جرى فى محكمة الأمور المستعجلة فى موضوع القضية وأن نجيب محفوظ قد شهد أمام المحكمة إنه لم يمس شخصية صلاح نصر فى القضية وطالب بإخراجه من الدعوى على أساس أن القصة لم تتناول أشخاصاً بأسمائهم ، كما أثار الدفاع عن منتج الفيلم الذى طالب بحضور صلاح نصر ليبين للمحكمة أين يجد نفسه من أشخاص الفيلم أفعالاً وأقوالاً وحركة ، إن استطاع أن يجد نفسه .

وأكد أن شخصية صلاح نصر لم تكن فى ذهن واضع السيناريو وطالب المحكمة بمشاهدة الفيلم فى عرض خاص لأثبات ما إذا كان دور كمال الشناوى هو دور صلاح نصر الحقيقى .

وترافع محامى المنتج وقال أن صلاح نصر يريد من خلال الدعوى إعتقال حرية رأى الانسان التى كفلها الدستور ووصف الدعوى بأنها عدوان على حق التعبير وعدوان على فيلم يمثل حقبة من تاريخ وحياة مصر .

وقرر القاضى فى نهاية الجلسة إنتقال المحكمة إلى صالة عرض الفيلم فى سينما ريفولى بحضور طرفى الخصومة (صلاح نصر ، ممدوح الليثى) وذلك قبل أن يفصل فى إختصاص المحكمة بالنسبة لوقف عرض الفيلم .

وفى ١٩٧٦/١/٩ نشرت جميع الصحف أن صلاح نصر وهيئة المحكمة قد شاهدت الفيلم فى عرض خاص مساء الخميس ١٩٧٦/١/٨ كما حضر فنانى الفيلم وكمال الشناوى الذى يقوم بدور خالد صفوان موضوع النزاع حيث يدعى صلاح نصر أنها شخصيته .

ثم قامت المحكمة بعقد جلسة فى مكتب مدير السينما أثبتت خلالها وقائع الفيلم مع سرد قصته بالتفصيل مع التركيز على بعض التواريخ التى تحدد شخصية خالد صفوان موضوع النزاع وبعض الأماكن التى تفيد أيضاً فى تحديد شخصية خالد صفوان ومنها أن صفوان كان يعمل فى القصر الملكى سابقاً .

وأعلن محامى صلاح نصر أنه يمكن التنازل عن الدعوى فوراً بشرط أن يسجل منتج الفيلم فى محضر الجلسة أن فيلم الكرنك لم يستهدف بحوادثه من

قريب أو بعيد صلاح نصر لا بصفته أو بشخصه وان ينشر ذلك على الرأى العـام ، وذكر أن الصحافة تتعمد التشهير بموكله للتأثير على القضاء فى نظر قضية تعذيب مصطفى أمين والتى ستنظر أمام المحاكم يوم ١٩٧٦/٢/١٥ .

وترافع محامى المنتج فقال إن الفيلم لم يذكر إسم صلاح نصر ولـم يتعرض لشخصه لا بأسمه أو بصفته، وأن صلاح نصر يهدف بطلب عدم عرض الفيلم إلـى إخفاء الصورة المشرقة لمصر التى أعادها الرئيـس أنـور السـادات والتـى يعيشـها المواطنون الآن آمنين غير خائفين من زوار الفجر والتعذيب .

وقال أن حياة المعتقلات قبل ثورة التصحيح يتحدث الكل عنهـا ، أمـا قضايـا المخابرات فقد صدر حكم نهائى من محكمـة الثورة بتاريخ ٢٦ أغسـطس ١٩٦٨ وهى القضيـة المعروفـة باسـم إنحـراف المخـابرات وحكـم فيهـا علـى صـلاح نصـر بالأشـغال الشـاقة لمـدة ١٥ عامـاً ، ولكـن الفيلـم يتضمـن أن خـالد صفـوان " أحيـل للتحقيق فى ٢٠ مايو ١٩٧١ وبالتالى لا يكون بالضرورة أنه صلاح نصر .

ثم كان المشهد الأخير فى القضية وهو رفـض الدعـوى المقدمـة مـن صـلاح نصر بعدم عرض الفيلم .

ونشرت الصحف اليومية بتـاريخ ١٩٧٧/١/٢٧ تفصيـلات الجلسـة وأعلنـت حكمها الذى تضمن أسبابه أنه بإستعراض وقائع ومشاهدة الفيلم وإستقراء قصتـه

التى كتبها نجيب محفوظ ، خلصت المحكمة إلى أن الفيلم لم يمس صراحة أو تلميحاً شخصية صلاح نصر أو جهاز المخابرات الذى كان مديراً له ، وأن الفيلم يصور أحداثاً عامة وأشخاصاً مجردة بأسماء وهمية ليحكى بها تاريخاً للبلاد فى حقبة زمنية معينة تاركاً للمشاهد أن يقدح ذهنه وفكره ويبحث بخياله الخصب فى تاريخ مصر فى هذه الفترة وعما إذا كانت الشخصية التى دار الخلاف حولها تمثل شخصاً حقيقياً ممن تولوا زمام الأمور فى واقع حياة مصر أم هو شخص من نسيج الخيال .

تصوير الصحافة المصرية للفيلم بإعتباره يمثل فترة من تاريخ جهاز المخابرات العامة

قامت الجرائد والمجلات المصرية بتناول الفيلم من خلال العديد من التحقيقات الصحفية بإعتباره يحكى فترة تاريخية لجهاز المخابرات العامة وأنه يمثل بطش الجهاز قبل نكسه يونيه ١٩٦٧ وأن شخصية خالد صفوان إنما هى شخصية صلاح نصر المدير السابق للمخابرات العامة وقد ظهر هذا الاتجاه سواء فى النص الصريح على إسم أجهزة المخابرات بصفة عامة وجهاز المخابرات العامة بصفة خاصة أو بالإشارة إلى الفترة الزمنية التى كان يتولى فيها صلاح نصر رئاسة الجهاز قبل نكسة ١٩٦٧ " .

وقد ساعد على ذلك بالطبع ما أثارته دعوى صلاح نصر ضد الفيلم وطلبه إيقاف العرض الأمر الذى ربط فى أذهان الجماهير والرأى العام بين أحداث الفيلم وما يحتويه من إرهاب وظلم وفساد وبين جهاز المخابرات العامة ممثلاً فى شخص صلاح نصر كما يظهر فى شخصية خالد صفوان فى الفيلم .

ويمكن تتبع هذا الإتجاه فى التحقيقات التالية :

* نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان " هذا هو فيلم الكرنك " .. وثيقة إدانة للفساد والأرهاب " وذكر التحقيق : (*)

" أن فيلم الكرنك يدعوك طوال ساعتين إلى التفكير والبحث والتأمل ، إنه يعيد فتح ملفات سنوات سوداء ، إنها السنوات التى أفرزت هزيمة ٥ يونيه ١٩٦٧ وجعلت الناس يستيقظون على حقيقة مذهلة ، إنهم كانوا يعيشون أكبر إكذوبة فى حياتهم .

* ونشرت جريدة الأخبار تحقيقاً صحفياً تحت عنوان " الكرنك فى مواجهة .. الطاغية " جاء فيه : [١] .

(*) جريدة الأخبارالعدد الصادر بتاريخ ١٩٧٦/١/٨، باب عين النقد بقلم حسن عبد الرسول .

(١) جريدة الأخبارالعدد ٧٣٥٥ بتاريخ ١٩٧٦/١/١٤، باب إسود وأبيض بقلم حسن شاه .

" إن قصة الكرنك هى تلك القصة التى تحكى عن تراجيديا الإنسان المصرى فى فترة مازالت تترك بصماتها على نفسية وحياة الشعب المصرى لأنها تتعرض لإنحراف أجهزة الدولة البوليسية وعلى رأسها جهاز المخابرات العامة قبل نكسة يونيه ١٩٦٧ .

* ونشرت جريدة الجمهورية تحقيقاً صحفياً تحت عنوان " مقارنة بين الحقيقة والخيال فى فيلم الكرنك ". (*)

ويحكى الكاتب فى التحقيق عن حديث بينه وبين مشاهدى الفيلم الذين شاهدوه معه والذين صدموا من هول ما فيه من بشاعة ووحشية وذبح للفضيلة .

وذكر الكاتب لمجموعة المشاهدين المشتركين معه فى المناقشه عن تجربته الشخصية لمدد ثلاث شهور فى مبنى مخابرات " صلاح نصر " .

ويوضح الكاتب أن خالد صفوان بطل الفيلم قد إعتقل عقب نكسة ١٩٦٧ وأن الإجابة على حقيقة ما طرحه الفيلم من تساؤلات إنما يحتاج إلى كتاب لا عدة مقالات .

* ونشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون تحقيقاً صحفياً بعنوان " دنيا الكرنك " (١) وذكر التحقيق أن كاتب السيناريو قد تناول أحداث الكرنك وأضاف إليها بعض الإضافات التى إستلزمها العمل السينمائى .

(*) جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٦ ، بقلم عادل سليمان

(١) مجلة الأذاعة والتليفزيون العدد ٢١٤٠ بتاريخ ٣١٩٧٦/٢٠ ، بقلم فاروق الهجرسى ،

* ونشرت جريدة الجمهورية تحت عنوان " من القلب " (*) وذكر الكاتب أن فيلم الكرنك هو أكبر أفلام الشباك ، أى اكبر الأفلام التى ينتظر ان تدر إيرادات ضخمة ، فقد وقف الناس فى صفوف طويلة يحجزون أماكنهم .ولكن الصفوف الطويلة إختفت فجأة ، ويرى الكاتب أن السبب فى ذلك أن الفيلم كان يقصد صراحة أن يقدم قصة صلاح نصر ، ولكن خوفاً من حكم القضاء قال المسئولون عن إنتاج الفيلم أنهم لايقصدون صلاح نصر أبداً ، وبهذا التراجع – غير الحقيقى – ضاع الهدف الكبر للفيلم .

تطور مضمون الرسالة الاعلانية فى إعلانات الفيلم

تطورت الرسالة الإعلانية فى إعلانات الفيلم على مدار المدة التى تم عرضه فيها، من رسالة إعلانية عادية لأى فيلم عادى إلى أن وصلت فى النهاية إلى الإشارة صراحة إلى أن الفيلم يحكى قصة " دولة المخابرات التى أدانها القضاء " وذلك بعد أن قضت محكمة جنايات القاهرة فى ٢٦ يونية ١٩٧٦ بمعاقبة صلاح نصر بالأشغال الشاقة لمدة عشرة سنوات فى قضية تعذيب مصطفى أمين .

(*) جريدة الجمهورية، العدد بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢٤، عمود "من القلب" بقلم محسن محمد .

ويمكـن تتبع هـذا الأتجـاه فى الرسالة الإعلانية للفيـــلم كالتالى :

١- بدأ الأعـلان عـن الفيلـم فـى الأسـبوع الأول فـى جميع الصحــف اليوميـة بتــاريخ ١٩٧٦/١/٢٦ عقب الحكم برفض الدعوى الخاصة بإيقاف عـرض الفيلـم مباشـرة ولم يتضمن الاعلان عن الفيلم أية مادة تحريرية بخلاف أسماء المؤلـف والمخـرج وكاتب السيناريو وباقى الممثلين العاملين فى الفيلم .

٢- إعتبارا من الأسبوع الثانى للعرض مباشرة إستخدمت الصيغة التالية "حديث شـعب مصر" وأستمرت هذه الصيغة حتى إعلانات الأسبوع الرابع.

٣- إعتبارا من الأسبوع الخامس بدأت العبارة التالية فـى الظهـور "الفيلـم الـذى تفـوق بإيراداتـه علـى جميـع الأفـلام العربيــة والاجنبيــة منـذ نشــأة الســينما المصريــة" واستمرت الرسالة حتى الأسبوع السادس للعرض.

٤- إعتبـارا مـن الأسـبوع السـابع للعـرض وحتـى الأسـبوع الواحـد والعشـرين ظهـرت الصيغة التالية "الكرنك" حديث شعب مصر الذى أصبح حديث صحافة العالم.

٥- إعتبارا من الأسبوع الثانى والعشريين "١٩٧٦/٤/٥" كانت الرسالة الإعلانية هى " أجرأ ما كتب نجيب محفوظ" .

٦- إعتبارا من الأسبوع الثالث والعشرين للعرض "١٩٧٦/٤/١٢" كانت الرسالة الإعلانية يعرض كاملا وبدون حذف" .

٧- إعتبارا من الأسبوع الرابع والعشرون للعرض ظهرت صيغة أعلانية جديدة هى "فيلم ١٥ مايو" يعرض كاملا وبدون حذف"

٨- إعتبارا من الأسبوع الخامس والعشرون وحتى الأسبوع السادس والعشرون ظهرت صيغة جديدة أخرى هى " ثورة يوليو .. دبرها الدهاة .. ونفذها الشجعان.. واستغلها الجبناء "قصة مراكز القوى.. وثورة التصحيح " .

٩- وفى الأسبوع السابع والعشرين "١٩٧٦/٥/١٧" كانت الصيغة الإعلانية هى فيلم ثورة التصحيح "٨ مليون شاهدوا الكرنك" وكان هذا هو الأسبوع الأخير للعرض بدور العرض الأولى تنفيذاً للقرار الوزارى والخاص بتحديد فترات العرض .

١٠- واعتباراً من ١٩٧٦/٥/٢٤ تم عرض الفيلم فى عدد أخر من دور العرض بعد الحكم فى قضية تعذيب مصطفى أمين فى ١٩٧٦/٦/٢٦ وكانت كل إعلانات الفيلم تتضمن الرسالة التالية "دولة المخابرات التى أدانها القضاء".

وهكذا .. يمكن أن نقرر فى النهاية أن فيلم الكرنك لم يكن لديه الفرصة أبداً للربط بينه وبين المخابرات العامة المصرية لولا الدعوى التى رفعها إلى القضاء صلاح نصر ضد كل من مؤلف ومنتج الفيلم وطلبه إيقاف العرض وحتى لايؤثر ذلك على موقفه حيال بعض قضايا التعذيب المرفوعه ضده من شخصيات أدبية وأخرى فنية

ولقد أتاح ذلك لمنتج الفيلم الفرصة الذهبية للحصول على دعاية كبرى ومجانية لتسويق الفيلم تجارياً ، كما أتاح الفرصة للعديد من الكتاب من الهجوم على صلاح نصر وربط شخصيته بأحداث الفيلم وذلك بالرغم من أن القضاء قد أثبت بالوقائع والتواريخ الوارده فى سيناريو الفيلم أنه لا يوجد أى إرتباط بينه وبين المخابرات العامة وأنه يحكى أحداثاً عامة بأسماء وهمية لم تمس صراحة أو تلميحاً شخصية صلاح نصر أو الجهاز الذى كان يعمل مديراً له .

فهرست الموضوعات

رقـــم الإيداع ١٤١٩٩ / ٩٧

الترقيم الدولى I. S. B. N.

مطابع مجلس الدفاع الوطنى
ت : ٣٤٠٩٨٢٠

هذا الكتاب ..

☆ يتحدث بداية عن المخابرات ، نشأتها ، والتعريف بها وطبيعة أعمالها ، وأهميتها للدولة ومدى الحاجة إليها .

☆ ويوضح الصورة الذهنية (ما ينطبع فى ذهن المواطن والرأى العام) للمخابرات الأمريكية والمخابرات السوفيتية.

☆ ويعرض للآثار السلبية لتشويه صورة المخابرات الأمريكية وأثر ذلك على فعاليتها والأحجام عن التعاون معها وموقف الرئاسات الأمريكية حيالها .

☆ ويناقش صورة المخابرات العامة المصرية والأحداث السياسية والعوامل الثقافية والتاريخية والنفسية التى حددت معالمها ، والمراحل التى مرت بها منذ إنشائها فى عام ١٩٥٤ وخصائص كل مرحلة وما إشتملت عليه من هجوم ومحاكمات وقضايا كما تناولتها الصحف فى حينه ، والجهود الاعلامية التى قام بها جهاز المخابرات لتحسين صورته الذهنية .

☆ ويقدم تحليلا لفيلم الكرنك وما أثير حوله من إرتباط بجهاز المخابرات العامة .



* صلاح الدين محمد كامل

* مدير عام بالمخابرات العامة سابقاً .

* ليسانس الآداب/جامعة القاهرة ١٩٦٠

* دبلوم العلاقات العامة والاعلان كلية الاعلام / جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

* ماجستير فى الاعلام " امتياز " كلية الاعلام / جامعة القاهرة ١٩٧٩ .

* يعمل مستشاراً للعلاقات العامة ومحاضراً بمعهد العلوم الاستراتيجية بالقاهرة .

